جامعة زيان عاشور– الجلفة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

مطبوعة خاصة بمقياس:

الدولة العثمانية و المشرق العربي خلال القرنين 15-20م

دروس موجهة إلى طلبة السنة الثانية تاريخ

السداسي: سنوي الرصيد: اثنان(2) المعامل: اثنان(2) التقييم: أعمال موجهة+ امتحان

إعداد الأستاذ: **بن عمار مصطفى**

السنة الجامعية: 2022/ 2023

السداسي السنوي:

المقياس: محاضرات مقياس: الدولة العثمانية والمشرق العربي قرن(20-15)

محتوى المادة:

- هو نشأة الدولة وأصل العثمانيين
- النظام السياسي للدولة العثمانية
- الجيش بين القوة والضعف
- المجتمع والثقافة للدولة العثمانية
- التوسع العثماني في بلاد المشرق العربي
- التوسع العثماني في بلاد المغرب العربي
- الإدارة العثمانية في البلاد العربية
- المسألة الشرقية
- عوامل ضعف وسقوط الدولة
- شخصية عبد الحميد الثاني
- نهاية الدولة العثمانية

مقدمة

مقدمة:

إن دراسة تاريخ الشعوب من اهم الركائز التي تعتمد عليها المجتمعات كمعيار لتطورها وازدهارها أو تخلفها وانحطاطها، والتاريخ مرتبط بجميع العلوم فهو الرابط وحلقة وصل بينهم ،كما انه هو الموثق والمؤرشف لكل الإنجازات والنشاطات والبحوث العلمية ،والباحث في علم التاريخ لابد له ان يكون على إطلاع وله تصور دقيق وواضح عن احوال البشر والعمران منذ القديم إلى يومنا هذ، هاته الإحاطة تجنب اهل الحاضر أخطاء الماضي، فالتاريخ يسهم بشكل كبير في تطور الأمم وتحضرها ونهضتها.

ودراسة التاريخ تقوم على منهج بحث تاريخي الذي هو طريق وسبيل الباحث غلى الوصول على حقائق تاريخية نسبية طبعا ،ويجب ان يكون الباحث ذو علم ومعرفة وادوات علمية ومعرفية كي يصل إلى نتائج معقولة ومقبولة شكلا ومضمونا.

قسم المؤرخون الدراسات التاريخية إلى مجموعة ازمنة وفترات بدا بالفترة ما قبل التاريخ ثم التاريخ القديم مرورا بالفترة الوسيطة ثم الفترة الحديثة ختاما بالفترة المعاصرة ،وهناك تقسيمات اخرى تقوم على دراسات إما التاريخ السياسي او الاقتصادي، التاريخ الثقافي ،التاريخ الاجتماعي ،تاريخ الأديان...ألخ من تنوع الدراسات والتي تصب كلها في الوصول إلى معيشة احوال وانظمة الناس في زمن ومكان ما .

ويدرس التاريخ في الجامعة والمعاهد الوطنية وفق مناهج ومقاييس مدروسة من شانها ان تنمي قدرات الطالب الجامعي والوصول به إلى باحث في التاريخ.

ومن بين المقاييس التي ندرسها في الجامعة في طور الليسانس مقياس الدولة العثمانية لطلبة السنة ثانية تاريخ والسؤال المطروح ما الفائدة والأهمية من دراسة هذا المقياس ؟ وماهي النتائج المتحصل عليها؟

اولا دراسة هذا المقياس هو التعرف على الظروف الدولية والإقليمية والمحلية التي كان يعيشها الأتراك في فترة من الفترات ،ففي هذه الفترة كان العالم يعيش ظروف استثنائية وأحداث بارزة غيرت مجرى التاريخ وخارطة العالم الجيوسياسية، فظهور المغول على مسرح الأحداث وزحفهم نحو الشرق وتنامي القوة البيزنطية، وتراجع قوة المسلمين ثم سقوط الخلافة العباسية كلها احداث ومنعرجات تاريخية مهمة، في هذه الفترة كانت العالم الإسلامي يعيش الفراغ والفوضى السياسية مما عجل بظهور الأتراك على مسرح

الأحداث مستفيدين من الوضع الراهن ومستعملين كل وسائل وادوات ومقومات بناء دولة حديثة من شانها الحفاظ على شعوب المنطقة من هجمات المغول.

من اسباب ومقومات بناء الدولة وجود شخصيات قوية تحظى بالقبول لدى الأتراك كانت مهمتها التفكير في تأسيس الدولة ،وهذه الدولة استندت على دعامة اساسية وهي الجيش العثماني القوي الذي ذاع صيته في العالم و كانت مهمته كبيرة جدا وهي الحفاظ على استقرار الدولة من جهة والتوسع من جهة اخرى والتأسيس لإمبراطورية وقوة عالمية. وبطبيعة الحال فإن الدولة العثمانية امتدت شرقا وغربا وضمت إليها الكثير من المتناقضات والاختلافات من شعوب واديان وأعراق وملل ومذاهب مختلفة ،هذا التنوع الذي انصهر واندمج مع بعضه البعض واطلق عليه الفرد والمجتمع العثماني المتساوي في الحقوق والواجبات وتحت حماية الدولة.

إن توسع الدول في المشرق والمغرب العربي كان حدثا مهما إذ اسس لقوة بحرية في حوض المتوسط لمجابهة اوربا مما افرز علاقات دولية متميزة تارة ومتشنجة تارة اخرى وصلت إلى الحرب في عديد المرات.

إن عمر الدولة العثمانية وحكمها ستة قرون يدفع إلى التساؤل حول سر استمرارية الدولة وقوتها ونظامها، كما يدفعنا التساؤل عن علاقاتها بدول العالم.

وبطبيعة الحال إن الدولة العثمانية القوية لابد لها ان تخضع للسنن الكونية وتضعف وتنهار لتبرز قوى أخرى، و كما تساؤلنا عن عوامل القوة نتسأل عن عوامل الضعف والانحطاط، وباعتبار أن شخصية السلطان عبد الحميد الثاني هي آخر شخصية تحكم الدولة يدفعنا التساؤل عن شخصية وسياسة وفلسفة هذا الأخير في الحكم؟

ومن خلال ما قلنا وما سبق ومن اجل دراسة هذا المقياس : **الدولة العثمانية والمشرق العربي** خلال القرنين 15-20م لابد لنا من إتباع محاور ومحاضرات مهمة نصب يها إلى مجموعة من المعلومات والنتائج التاريخية المهمة.

المحور الأول

- محاضرة1: هو نشأة الدولة وأصل العثمانيين
- محاضرة 2: هي الجيش بين القوة والضعف
- محاضرة3: هي المجتمع والثقافة للدولة العثمانية

المحور 1: المحاضرة 1: أصل العثمانيين وقيام الدولة العثمانية

شهد العالم خلال القرن 12 أحداث تاريخية مهمة غيرت خارطة العالم الجيوسياسية وذلك بظهور دول وتراجع أخرى، بل زوال الكثير من الدول وأصبحت اراضي خاضعة، من بين الدول القوية التي صنعت مجدها وسجل التاريخ أحداثها المهمة نجد الدولة العثمانية، هاته الدولة التي دام حكمها اكثر من 9 قرون، تسعة قرون طبعا هذه المدة الطويلة كانت مليئة بالأحداث السياسية والعسكرية والثقافية والعلمية والاقتصادية.

إن امتداد الدولة العثمانية خارج أراضيها شرقا وغربا في أسيا أوربا وإفريقيا جعل منها إمبراطورية عظمى جيشها قوي برا وبحرا، هاته الدولة لم تأتي من العدم ولم تتكون بالسهل بل مرت بمراحل صعبة في نشأتها وبناءها وفي تطورها وأثناء ذروة قوتها إلى ان تراجعت وأصبحت دولة تركيا.

يقول أحد المؤرخين عن الدولة العثمانية: "لم يشهد التاريخ كيانا سياسيا و مستقرا كالإمبراطورية العثمانية..... كانت اسطنبول تبهر انظار السياح الأوربيين كأكبر مركز للحضارة في العالم".

ويقول المؤرخ الإنجليزي الان تونبي " الإمبراطورية العثمانية هي الدولة الوحيدة التي جمعت الشرق الأوسط تحت حكمها أطول حقبة في التاريخ و ذلك أمر لم توفق إليه الإمبراطورية الفارسية أو الرومانية أو العربية ".

وبالمقابل نجد الكثير من المؤرخين الأوروبيين من يطعن او يشوه التاريخ العثماني واتهامهم بالقرصنة والوحشية والهمجية لكن على اختلاف الأقلام والكتابات موضعيتها أو ذاتيتها إلا أن الثابت على أرض الواقع و بلغة الأرقام هو أنه هناك انتصارات وانهزامات في حروب ومعارك واتفاقيات استسلام وسلام وهدنة .....الخ

إن الدارس لتاريخ الدولة العثمانية يصل إلى نتيجة مهمة وهي أن الدولة العثمانية كانت صانعة لأحداث تاريخية مهمة، وأن قوة جيشها أرعبت كبار الملوك والقادة الأوربيين وأبهرت الكتاب الأوربيين الذين أنصفوها في بعض الكتابات ووصفوه بالقوة الأولى في العالم أنداك.

أصل العثمانيين:

الأتراك عرق ابيض عريض الجمجمة وغالبا ما يطلق عليه في الكتب الأدبية العرق الطوراني وهم القوم الذين ينحدرون من فرع ألتاي التابع لمجموعة اعراق أورال _ألتاي، واللغة التركية كثيرة المقاطع ،تشتق كلماتها بإضافة مقاطع إلى نهاية الكلمات الأصلية وهي لغة غنية جدا بصيغ أفعالها، تعلم الأتراك في اوقات مبكرة جدا تطويع المعادن وصناعة الأسلحة وترويض الخيول والأغنام وخاصة للضرورات العسكرية، ويعتبرون من أمهر صناع الجلود ومزيني الخيول في العالم.[1]

سكن الأتراك في منطقة ما وراء النهر التي تسمى اليوم تركستان التي تمتد من هضبة منغوليا والشمال الصين شرقا إلى بحر قزوين غربا (بحر الخرز)، ومن السهول السيبيرية شمالا إلى شبه القارة الهندية وفارس جنوبا.

دخل الأتراك الإسلام في عهد بني امية لما فتح القائد قتيبة بن مسلم مدينة بخارى سنة 709م وسمرقند سنة 711م وقد واجه الفاتحين المسلمين والأتراك جنبا إلى جنب الامتداد الصيني وتم تحرير أجزاء من الأراضي التركية مثل منطقة تركستان ،وبهذا انتشر الإسلام بين الأتراك وفي أسيا الوسطى بسرعة فائقة إلى درجة لم يبق إلا عدد قليل ينتسب إلى ديانات أخرى خلال القرن 10م.

تولى الكثير من الأتراك قيادة الجيش وحكم الإمارات في عهد الدولة الأموية والعباسية والدولة السلجوقية، من أمثال هؤلاء أحمد بن طولون والي مصر، محمد بن أخشيد، الب تكين في الدولة الغزنوية 962م محمد طغرل بك 1040 والب أرسلان (1063_1072م) دولة خوارزم (1157_1231).

من قبيلة إلى إمارة: انتقلت قبيلة الكاي (قاي) إلى الأناضول الشرقية سنة **1071**م و سكنوا المنطقة أخلاط مدة طويلة و هي قصبة تركية وبلدة مهمة من بلدات القرون الوسطى آنذاك تقع على الساحل الشمالي الغربي من بحيرة وان الكبرى شرق الأناضول.

شاركت قبيلة الكاي بفرسانها جنبا إلى جنب مع جيش السلجوقي علاء الدين في الكثير من المعارك مما أكسبها مكانة و قوة عند السلطان السلجوقي أهم الحروب التي شاركو فيها هي حرب ياصي

[1] يلماز ازتونا، ترجمة: عدنان محمود سلمان، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري (1230–1922)، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط1، 1431هج، ص ص 86–87.

جمن وجزاء لما قدموه منحهم السلطان السلجوقي أراضي في الغرب على الحدود البيزنطية سنة 1231 تقدر مساحتها ما بين 1000 إلى 2000 كلم2 تسكنها حوالي 400 خيمة أي بما يزيد عن 400 فرد (نساء ورجالا).[1]

استطاع الغازي أرطغرل بـ (1231–1271) توسيع أراضيه من خلال غزواته المستمرة مدة نصف قرن قضاها كأمير [وال] على مقاطعة حدودية إلى ما يقارب 4800كلم^2 انضموا تحته التركمان و الرعايا المسيحين (الروم).كما ضم إليه ماقرب من المناطق وواصل فتوحاته عل حساب جيرانه [2]،كما وضع عثمان نظم إدارية ساعدها إلى توطيد مركزها وتطورها سريعا لدولة كبرى. [3]

بعد وفاة أرطغرل بسنة 1271 وأحل وريثه في الحكم الغازي عثمان بك (1271–1324) التوسع في الأراضي البيزنطية خاصة و أنه في هذا الظرف تراجعت قوة الدولة السلجوقية وتزايدت قوة المغول مما جعل عثمان بك في وضع خطير و على أهبة القتال في أي لحظة المغول من جهة و البيزنطيين من جهة.

و في سنة 1288 سيطر عثمان بك على مدينة قره جه حصار قرب إسكشهير وجعلها مركز حكمه (إمارته)، وقد دعم حكمها وزادها قوة اعتراف السلطان السلجوقي علاء الدين كيكاباد الثالث الذي أرسل له سنة 1300 علامات السلطنة كالطبل و العلم (الراية) و شارة الرأس (طوغ) وبذلك أصبح عثمان بك بصورة رسمية أمير على الكثير من الأراضي الحدودية.

بلغت مساحة حكمه سنة 1324 حوالي 16000 كلم2 حيث وصل شمالا إلى الضفة الشرقية من نهر سقاري و اقترب كثيرا إلى مدخل النهر والبحر الأسود و في الغرب نفذ إلى البحر حيث استولى من البيزنط على الضفاف الجنوبية لبحيرة **إيزنك** و كذلك أخذ الضفاف الشرقية لبحيرة **ألوباد** و نفذ إلى بحر مرمرة، من بين المدن التي سقطت بيد عثمان **إسكشهير** 1277 م و**بيلجك** 1299 وإيناغول 1321.[4]

بعد وفاة الغازي عثمان ورث الحكم عنه أورخان بك (1324–1362م) ومن انتصاراته وتوسعاتها واستيلائها على مدينة بورصة في 6 نيسان 1326 واتخذها قاعدة له (عاصمة) تم فتح وضم مدينة

---

[1] المرجع السابق، ص ص 86–87

[2] الشناوي عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1،القاهرة، 1980، ج1، ص9.

[3] إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، السعودية، ص 12.

[4] يلماز، المرجع السابق، ص 91–92.

إيزنك في 1331/03/07 وفي سنة 1345 ضم أورخان بك امارة كاراسي التركية وشبه جزيرة قالودا سنة 1345 وجزر مرمرة 1352 وشبه جزيرة قوجا إيلي وسكدار و بولو سنة 1354 وأخيرا ضم مدينة الفقرة وبهذا التوسع في البلقان وأوربا أصبحت الامارة العثمانية أكثر قوة وتطور اقتصادي وعسكري بلغت مساحة الأراضي في هذه الفترة حوالي 95000كلم2 أي 6أضعاف أراضي عثمان بك.[1]

فتح البلقان :

وصل مراد الأول إلى الحكم خلفا لأبيه الغازي أورخان سنة 1352م وكانت أول انتصاراته ضمه مدينة أدرنة في 1362 وفي سنة 1363 اجتاز نهر مريج نحو الغرب وفتح **فيلبيه** وفتح **اسكي** زغرا ووصل جبال البلقان، إنتصر مراد بك على ملوك المجر **(صربيا والبوسنة رومانيا أفلاق)** في موقعة صرب **صنديقي** سنة 1324 وبذلك فتحت أراضي تساليا ومقدونيا والمراكز كده ده آغاج (1362)، **كمولوجية** 1363م وساما كوف 1367 م، قاوالا 1371 م، دراما 1371م، كما اعترف ملك بلغاريا سنة 1370 بتبعيته للدولة العثمانية.

انتصار **معركة جيرمن** 26-09-1371: انتصر مراد بك على التحالف البلغاري الروماني وقتل في هذه المعركة ملك الصرب فوكاشين و أخوه ولي العهد الأمير أولكيشا.

معركة كوسوفا في 20 حزيران 1389: شارك في هذه المعركة السلطان مراد بك وأبنائه الاثنان، دامت الحرب 8 ساعات وانتصر فيها جيش مراد بك و أبيد الجيش الصربي كما استشهد السلطان مراد بك على يد جندي صربي أثناء تفقده ساحة الحر.

و بهذا الانتصار أصبحت منطقة البلقان كاملة تحت الحكم العثماني ووصلت مساحة الدولة العثمانية 500000 كلم^2 (مساحة الأراضي الأوربية في البلقان 291000 كلم^2 والأراضي العثمانية في الأناضول في آسيا تتجاوز 207000 كلم^2 و بالتالي وصلت مساحة الدولة في عهد مراد بك 5 أضعاف ما تركها السلطان أورخان.

---

[2] المرجع السابق، ص ص 102. يقول أحد المؤرخين البيزنطيين: قاد مراد بك 37 حرب في روملي والأناضول وانتصر في جميعها كان جسورا، شديدا ونشيطا ومنظما لا يهمل أي تدبير يعامل الدول والأشخاص اللذين يطيعونه ويقومون بخدمته بالحسنى وكان قاسيا على من يضمر له العداء.

[3] نفسه، ص 102.

لقد أكد المؤرخون على المساعدة التي قدمها زعيم القبيلة أرطغرل الجيش علاء الدين السلجوقي سلطان السلاجقة في حربه أمام البيزنطيين، والذي حول جيشه من هزيمة له إلى نصر أجبر السلطان السلجوقي على مكافأة أرطغرل على ذلك، بمنحه قطعة من الأرض بمحاذاة بلاد الروم إلى الغرب من بلاد السلاجقة. لكي يجعلها إمارة عازلة بينه وبين أعدائه البيزنطيين، ويكون له بمثابة اليد الطولى لمواجهتهم.

إن كافة حروب أرطغرل وانتصاراته على البيزنطيين كانت تتم لحساب السلطان علاء الدين السلجوقي، وبعد وفاته عمد السلطان علاء الدين إلى تعيين أكبر أبناء أرطغرل يدعى عثمان واليا على اقطاعات أبيه ورئاسة عشيرته وإذانا باستقلاله وأن يكون له فيما بعد كل ما فتحه من الأراضي.

اتبع عثمان سياسة وخطوات أبيه في حروبه مع البيزنطيين وحقق انتصارات باهرة عليهم، وبذلك منحه السلطان علاء لقب بك، وسمح له بصك عملة باسمه، وكان عثمان يدين بالولاء التام للسلطان السلجوقي، فأخمد الفتن، وحارب أعداءه، وفتح قلاعهم، وحقق عليهم انتصارات باهرة).[1]

إن الإمارة العثمانية في الشمال الغربي للأناضول على حافة العالم المسيحي وهو ما يسمى دار الحرب وعلى حافة العالم الإسلامي وهو ما يسمى بدار الإسلام ،قد فرض على هذه الإمارة سياسة حربية.[2]

فتح القسطنطينية:

كانت سنة 1453 م حاسمة بالنسبة للعثمانيين بقيادة محمد الفاتح (1446-1481)، فقد تمكنوا من فتح القسطنطينية عاصمة بيزنطة وقضوا على الإمبراطورية البيزنطية وورثوا تراثها وممتلكاتها[3] وتعتبر القسطنطينية من أجمل مدن العالم يقول أحد الحكماء: لو كانت الدنيا مملكة واحدة ،لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها، وقد كان فتح القسطنطينية مؤشرا لتمازج حضاري إسلامي –مسيحي –

[1] محمد عمر مروان: المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الثاني، العدد الثامن، يونيو 2017م، ص315.

[2] حسان حلاق: تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت، ص20.

[3] دونالد كواترت: الدولة العثمانية 1700-1922م، تعريب، ايمن الأرمنازي، مكتبة العبيكان ط1،العربية السعودية 2004، ص14.

شرقي–غربي فقد أمر محمد الفاتح بتحويل كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد وبنى المدارس والمكتبات والمؤسسات الخيرية وأصبح القسطنطينية تعرف باسم إسطنبول عاصمة الدولة.[1]

وقد حدد رجال السياسة خصائص الدولة العثمانية في اربع عناصر هي:

– دولة عسكرية نسبة إلى قوة الجيش الانكشاري وما حققه من انتصارات في مدة قصيرة على أكبر القوى الأوربية

– دولة دينية: حيث اتسمت بالطابع الديني الإسلامي في القوانين والتشريعات والقضاء والمعاملات، كما حافظت على حقوق اهل الذمة من يهود ونصارى .

– دولة طبقية :فقد ضمت الدولة العثمانية الكثير من الطبقات المختلفة في تكوين مجتمعها.

– دولة إقطاعية من نوع خاص، فقد تمثل طابعها الإقطاعي خلال وجود نظامين نظام الإقطاع الحربي ونظام الالتزام.

– دولة عالمية: من حيث تواجدها في ثلاث قارات وضم شعوب وأعراق مختلفة.

– دولة ذات حكم مطلق: ويقصد به حكم المطلق بكل السلطات.

مؤسسات الحكم في الدولة العثمانية:

السلطان: يطلق عليه إسم الحاكم، السلطان، الأمير، الغازي، أمير الرمللي، سلطان الحرمين، وأخر لقب هو خليفة المسلمين، وفي القانون العثماني يعتبر السلطان الممثل الوحيد لرعاية مصالح المسلمين، تضرب السكة باسمه ويشرف على تنظيم الحج، كما أنهم خول بحماية الأماكن المقدسة، وهذا كله في إطار ما جاءت به الشريعة الإسلامية.[2]

الصدر الأعظم: هو رئيس الوزراء يعود تاريخ ظهور هذه الوظيفة إلى عهد السلطان أورخان حين تولاها أخوه علاء الدين وهو بمثابة النائب العام للسلطان في الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية،

[1] حسان الحلاق، المرجع السابق، ص 26

[2] أندري رايمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني ،ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، ط1، القاهرة، 1991، ص23.

كما يتمتع الصدر الأعظم بسلطات واسعة فهو الذي يشرف على كل التعينات الوظيفية والعسكرية والمدنية.[1]

الديوان الهمايوني: بمثابة مجلس الوزراء، يضم رؤساء الدوائر في الدولة العثمانية، يجتمع مرتين في الأسبوع لمناقشة قضايا الدولة الهامة.

الهيئة الدينية: وهي الهيئة الإسلامية الحاكمة في الدولة يترأسها السلطان شرفيا وشيخ الإسلام فعليا، تضم مايلي:

- **شيخ الإسلام**
- القضاة بمختلف فئاتهم ودرجاتهم
- المفتون
- أساتذة الشريعة وأصول الدين
- هيئات التدريس في المدارس الإسلامية
- الإداريين في القطاع الديني[2]

المؤسسة العسكرية: يعتبر الجيش الانكشاري ركيزتها الأساسية بسبب دورها البارز في تحقيق الانتصارات والفتوحات العثمانية.

ما يمكن استنتاجه من خلال ما سبق:

- يتبين لنا ان فكرة التأسيس للدولة العثمانية لم يكن بمحض الصدفة ولكن املته ظروف محلية وإقليمية للأن العثمانيين فالبداية تعرضوا للتحرشات البيزنطية المتكررة.
- أن الأمراء اللذين اسسوا للدولة يتمتعون بشخصية قوية وحنكة سياسية وهم اصحاب مبادئ و مشروع سياسي قوي هدفه الحفاظ على مقومات الشعوب الإسلامية ووقف الزحف المغولي والبيزنطي الذي كان هدفه تدمير الخلافة العباسية والقضاء على الحكم الإسلامي.
- ان الظروف التي مر بها الأتراك من ظلم البيزنطيين من جهة والمغول من جهة دفعتهم إلى

[1] الغالي الغربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2011، ص 30.

[2] عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق، ص 398.

التفكير في توحيد القبائل التركية.

- كما ان التوسع نحو أوربا كان بدافع اقتصادي لما تتميز به هاته الأراضي وتنوع المحاصيل، ضف إلى هذا يرى بعض المؤرخين العثمانيين ان توسع العثمانيين نحو أوربا كان إنسانيا لأن هاته الأراضي المجاورة كانت تعاني من ظلم البيزنطيين وحكام القبائل.
- إن فتح البلقان كان مهما جدا للدولة العثمانية نظرا لأهمية وموقع المنطقة الاستراتيجي.
- ان ظهور الدولة العثمانية كقوة جديدة حدث مهم سيغير خارطة العالم الجيوسياسية بأكملها.

محور1: المحاضرة 2: الجيش العثماني (القوة والضعف)

تمتع العثمانيون بسمعة عسكرية قوية بين خصومهم الأوربيين في منتصف القرن 16م ويرجع السبب في ذلك إلى منظومة حكيمة كانت تجمع بين الفرسان وجنود المشاة بالإضافة إلى الإنباط الشديد في ميدان القتال ،لكن على الرغم من الأهمية الاستراتيجية والتكتيكات فإنها لم تكن سوى جزء من القصة ،وطبقا لكتابات عديدة أكدتها دراسة حديثة فإن الدولة العثمانية والمجتمع العثماني بمجمله كان منضما بشكل فعال للحروب على الأقل حتى نهاية القرن 17م ويرجع ذلك إلى السلطة العظيمة التي كان يتمتع بها السلاطين بالإضافة على سلطة مركزية مكرسة دون شروط للحاكم وقادرة على تعبئة موارد هائلة تمتد من بودابست إلى بحيرة فان (vav) ومن شواطئ البحر الأسود الشمالية حتى اليمن.[1]

تأسيس الجيش الانكشاري:

مما سبق يتضح أن قيام الدولة وتوسعها والتحركات العسكرية التي قامت بها كانت بداية السياسة حربية انتهجها و التزم بها السلاطين المتعاقبين على السلطة فيما بعد إذن يمكن القول أن الدولة العثمانية دولة عسكرية بكل المقاييس وبالتالي فإن الجيش كان يمثل موضع اهتمامها حيث عملت على توفير كافة الإمكانيات المتاحة لها بشرية، ومادية، ليصبح أكبر قوة عسكرية تهابها قوات وجيوش الإمبراطوريات الأخرى، إن هذه النزعة العسكرية والمتمثلة في التدريب الصارم والتنظيم الدقيق فرضتها عليهم البيئة التي عاشوا فيها حيث جاوروا العديد من الكيانات السياسية المسيحية والإسلامية وكانت العلاقة بينها وتلك الكيانات عدائية، لذلك اصطبغت، حياتهم بالصبغة العسكرية تمكنوا بفعلها من تطوير وبناء امارتهم أو دولتهم.[2]

إن الطابع العسكري الذي ساد الإمارات التركية كان مصحوبا بنظام الفتوة الذي كانت تحركه الحمية لخدمة الإسلام، والذي ورث عن الدولة العباسية، هذا النظام الذي تبناه الخليفة العباسي الناصر (1180_1225م).

و يمكننا القول ان سياسة القبضة الحديدية ليست بالجديدة بل هي نتاج انظمة سابقة لبسط الهيبة ونفوذ الدولة خاصة ان الحركات المتمردة والرافضة كانت بكثرة والتي تعتمد على المذهبية كمشروع

---

[1] ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ترجمة حاتم الطحاوي، المدار الإسلامي، بيروت، 2008، ص 197.

[2] محمد عمر مروان: المرجع السابق، ص 316.

للوصول على السلطة، يرى احد المؤرخين ان الفكر المذهبي والصراعات المذهبية تعتبر من ادوات الوصول إلى السلطة وفي نفس الوقت سبب من اسباب الانهيار وسقوط الدولة ،والدولة العثمانية كانت تحارب على جبهتين اولا الصراع القديم المتجدد في إطار الحرب بين دار الكفر ودار الإسلام، ثانيا الجبهة الداخلية في إطار الصراعات المذهبية بين السنة والشيعة.

ويرى مؤرخ آخر ان الدولة العثمانية اتبعت سياسة القوة واللين كخطين متوازيين من اجل تثبيت الحكم وذلك باستعمال القوة العسكرية في حالة عدم الخضوع للسلطة العثمانية وسياسة اللين فيما بعد وذلك بترك الحرية التامة للسكان من حيث الأحوال الشخصية من دين ولغة وعادات فكانت لكل ملة محاكمها الخاصة بها، وهذا ما يحسب على الدولة العثمانية من إيجابية، حيث يقر الكثير من المستشرقين ان الحرية التي كانت موجودة في الدولة العثمانية لم تكن موجودة في أوربا.

أما بالنسبة للباس وهيكل الجيش فكانت الطقوس المتبعة في تنصيب الفتوة تشبه إلى حد كبير ما كان متبعا في تنصيب فرسان أوربا الغربية، وتميز هؤلاء عن بقية السكان بلباس خاص على شكل قلنسوة بيضاء كان يرتديها غزاة ثغور غرب الأناضول، وكان هدف تنظيم الفتوة هو متابعة الجهاد تحت قيادة زعيمهم الذي حرص على توفير سبل الراحة[1]، وتسهيل وسائل الحياة لهم من خلال توزيع الغنائم عليهم(ها)، ليضمن ولاءهم الدائم له وتكون حافزا لهم لمواصلة الحرب. إلا أنه واجهتهم مشكلة حيث أصبحوا غير قادرين على الإلمام بخدمة الأرض والالتزام بمتابعة الجهاد في وقت واحد وظلت قضية تبحث عن حل حتى أسس عثمان الدولة العثمانية.[2]

ولما توسعت الدولة وضمت الكثير من الأراضي والسكان كان لزاما على السلطان مسايرة كل التطورات وتنظيم المناطق ومؤسسات الدولة غداريا كما تم هيكلت الجيش وتنظيمه تنظيما محكما تفوق على الجيوش الأوربية طيلة قرون.

الأسطول البحري العثماني :إن اول اسطول بحري متكامل اعده السلطان محمد الفاتح في مدينة غاليبولي سنة 1453م والتي هي قاعدة العثمانيين البحرية في أوربا وكان مكونا من350 سفينة امرها

[1] _ المرجع السابق، ص 318

[2] نفسه، ص 319

بالعبور على البوسفور والتي كان من نتائجها فتح القسطنطينية ،وبعد هذا الانتصار توجهت سفن محمد الفاتح نحو موانئ البحر الأسود وبحر ايجه وأوربا الشرقية.[1]

نظام وهيكل الجيش:

أ. حملة السيوف والفرسان الخيالة:

كان حملة السيوف **التنظيم الأول** في الدولة العثمانية حيث استمر هؤلاء أكثر من نصف قرن، إذ أصبح كل فرد من قبيلة قابي التركية حاملا للسلاح وهي التي تشكل المجتمع العثماني، وأن أفرادها حاملي السلاح يعتبرون فرسانا لا ينفصلوا على جسد الجيش. كما أنه لا وجود لتشكيل عسكري عهد عثمان خارج التنظيم العشائري، ولم تكن هناك ميزات تميزهم عن بعض الكل حاملا للسيوف، ينطلق إلى ساحة القتال حال نشوب حرب على رأسهم السلطان ووزرائه، ومن هنا جاء أن كبار رجال الدولة في نفس الوقت قادة للجيوش كان الاعتماد الكلي على الفرسان التي كانت خيولهم مصدر قوتهم، جريئين بارعين تفوقوا على البيزنطيين بأسلوبهم البسيط الذي لا يحتاج إلى تخطيط أربك قوات العدو لقناعة قوات الفرسان أنهم لو خسروا المعركة لم يخسروا شيئا، وإذا حققوا نصرا ربحوا كل شيء وهو حافز لهم على مواصلة القتال، وبالتالي كانت هجماتهم متواصلة طول السنة مما أرهق العدو.

ب. الفرسان الإقطاعيون:

اعتمد الجيش العثماني على ما عرف بالإقطاع العربي، أي أن السلطان كان يمنح اقطاعا زراعيا لأفراد من الخيالة يستقرون فيه، معتمدين في معيشتهم ورواتبهم على انتاجه عرفوا بالسباهية، وكان مقابل هذه الامتيازات يكونوا على أهبة الاستعداد حال دخول الدولة في حرب عليهم الالتحاق بأسلحتهم وخيولهم بساحة القتال وقد كانت أسلحة هؤلاء تتكون من القوس والرمح الخفيف والسيف القصير إلى جانب الدروع والخوذ هذا النظام قد يوفر للدولة العثمانية في بعض الأحيان ما يزيد على مائتي ألف مقاتل دون أي مصاريف تذكر، كما أن ارتباطهم بالأرض ، جعلهم يتأخرون على الالتحاق بساحات القتال في الوقت المناسب، كما أنهم أهملوا تربية الخيول التي كانوا يعتمدون عليها اعتمادا كليا في ساحات القتال أضعف من قوتهم وخارت قواهم، واستنادا على ما سبق انتزعت الدولة منهم ما اقتطعته لهم من أراض وتجريدهم من كامل امتيازاتهم.

---

[1] سليمان بن صالح الخرشي: كيف سقطت الدولة العثمانية، تحقيق إحسان حقي ،دار القاسم، المملكة السعودية، 1420، ص14.

ج. **الفرق المرتزقة:**

عرفت بفرقة السباهيين (فرسان الباب العالي) وتعد من أقدم الفرق العسكرية المرتزقة بالجيش العثماني، وقد اهتم هؤلاء بأنفسهم اهتماما كبيرا من حيث التدريب والتفنن في أساليب القتال، إذ أن الجهاد والحروب المستمرة هي حياتهم التي مارسوها.

د. **فرق المشاة البايا:**

جاء تشكيلهم كتوسع للإمارة العثمانية، حيث رأى القادة العثمانيون ضرورة الاعتماد على قوات للمشاة إلى جانب الفرسان فتشكلت هذه الفرقة من المسلمين الأتراك، حيث يدفع لهم أجرا أيام الحرب، مقابل اعفائهم من الضرائب الزراعية بعد انتهاء مهامهم العسكرية والعودة إلى أراضيهم، وعندما دب الفتور بينهم، وخمدت همتهم العسكرية، وكثرت ثوراتهم على الدولة العثمانية من وقت إلى آخر، الأمر الذي جعل الأخيرة تفكر في تعويض النقص العسكري الذي سببه هؤلاء، وذلك باستحداث تشكيلات جديدة عرفت بالانكشارية.[1]

الانكشارية :

الانكشارية (يني تشري) كلمة من مقطعين يني تعني الجديد، وتشري تعني العسكر أي العسكر الجديد، أو الجيش الجديد. وقد اختلف المؤرخون حول التاريخ المحدد الذي نشأت فيه هذه الفرقة، والآلية التي تم بها ذلك ؟ إلا أن أغلب المراجع أشارت إلى فكرة إنشاء هذه الفرقة نبعت من علاء الدين الشقيق الأكبر للسلطان أورخان 1326– 1362 م حينما لفت نظره الشباب والفتيان والمشردين والأيتام والأسرى المسيحيين، فأشار على شقيقه السلطان بضرورة تبني هؤلاء والاستفادة منهم وتربيتهم على أسس دينية إسلامية بحيث يحسون بأن السلطان والدهم الروحي والحرب صنعتهم والشهادة هدفهم، بينما أشار بعض المؤرخين الأجانب أن هذه الفرق الانكشارية تأسست على أساس ما عرف بضريبة الغلمان، وقد زعموا أن السلطان أصدر قانونا يتم بموجبه أخذ خمس أطفال كل مدينة محتلة وضمهم للجيش العثماني، واعتقد البعض بصحة ذلك ونقل عنهم فعلى سبيل المثال ذكر عبد الكريم رافق بقوله ".... ولهذه الأسباب مجتمعة طبق العثمانيون في الفترة بين 1430 – 1438 م في عهد السلطان مراد الثاني ما عرف بالدفشرمة أي جمع الشبان ، وكانت ترسل كل خمس سنوات لجان تطوف روميلية لانتقاء الشبان الأشداء

[1] محمد عمر مروان المرجع السابق ،ص 320

منها..." ، كان الغرض منها تعويض ما فقدته القوات العثمانية في المعارك المختلفة. وفي المقابل نرى الكثير من المؤرخين يرون العكس وهي ان تكوين الجيش الانكشاري كان يعتمد على ابناء الدولة العثمانية وان الأطفال والأيتام المسيحين يعتبرون من ابناء الدولة لهم نفس الحقوق والواجبات باعتبار ان الأراضي التي فتحت اصبحت اراضي عثمانية ، ويرى هؤلاء أن إلصاق تهمة الاختطاف وتجنيد أبناء المسيحين هي تهمة باطلة القصد منها تشويه الجيش العثماني.

ونرجع إلى عملية التجنيد والتساؤل عن الفترات التي يجمع بها الغلمان هل هي فترات ثابتة عملتها الدولة وأقرتها، فبعضهم أشار أنها فترات متباعدة حيت يتم ذلك كل أربع سنوات، بينما ذكر آخرون يتم كل خمس سنوات، والبعض أورد يتم كل سبع سنوات، وقد أعفي من هذه الضريبة أطفال اليهود والأرمن الكاثوليك.[1]

واقتصر أعمار هؤلاء المجلوبين بين 8 سنوات وعشرين سنة مع اشتراط الصحة الجيدة وانتماء أسري ذو نسب عالي معروف، الأمر الذي قلص أعداد الجيش الجديد، غير أنه بالسماح لأطفال المسلمين بالالتحاق بناء على طلب أهاليهم وتوسطهم وتحايلهم لذلك نظرا لما يتمتع به الجيش الانكشاري من مزايا كثر عددهم، ومن الواضح أنه لم تكن هناك قاعدة ثابتة لاختيار الأطفال، بل أن الكثير من المسيحيين رحبوا بالفكرة ودفعوا بأبنائهم لقناعتهم بالمستقبل الزاهر الذي ينتظر أطفالهم في ظل الدولة العثمانية التي كانت تهتم بهم كثيرا ، كما سبق الإشارة إلى ذلك. وأرى أن بداية النشأة غلب عليها الطابع الإنساني، حيث تم جمع هؤلاء المشردين والأيتام، ووضعهم في أماكن خاصة للاستفادة منهم بعد القيام بتربيتهم تربية سليمة، وتنشئتهم على مبادئ الدين الإسلامي وتعليمهم حب الدولة العثمانية والولاء لها وللسلطان، بعد فك ارتباط هؤلاء بدويهم وأصولهم وفعلا كان من مميزات هذا الجيش الولاء التام للدولة الممثلة في السلطان العثماني في الحفاظ على الاستقرار من جهة والتوسع من جهة ثانية ،ويمكننا القول ان الولاء فالجيش العثماني أو باقي الجيوش الإسلامية في الخلافة العباسية او الأموية او حتى على عهد الخلفاء الراشدين ينطلق من مبادئ الشريعة الإسلامية والعقيدة القائمة على الولاء والبراء.

ويتم تلقين وتعليم المبادئ الإسلامية للجيش منذ الصغر هاته التعاليم التي تدعو إلى نصرة المظلومين والانتصار للحق والعدالة والمساواة، وان الجهاد ونشر الإسلام ضرورة وحتمية إلى يوم الدين،

[1] المرجع السابق، ص 321

هذا من الناحية التربوية والنفسية اما من ناحية التدريب فيعتبر الجندي العثماني من اقوى الفرسان هذا راجع إلى التدريبات الشاقة والصارمة في نفس الوقت.

وقد حرصت الدولة العثمانية على العمل بمنع هؤلاء الأطفال والجنود الاتصال بأسرهم والارتباط بهم وبأقاربهم، وفرضت عليهم وقت السلم الاقامة بثكناتهم المغلقة المزودة بغرف للنوم، ومطابخ ومخازن للأسلحة والذخائر وكافة حاجياتهم حيث اقتصر بداية الأمر على ثكنة واحدة للانكشارية في مدينة أدرنة، تم ما البث أن زاد عدد الثكنات في استانبول بعد فتحها على يدي محمد الفاتح سنة 1453م، إذ تم تأسيس ثكنتين بها. كما أنه تم تمييز كل فرقة من الانكشارية بشارة خاصة بها وضعت على أبواب ثكناتهم، وخيامهم التي تقام بساحات القتال، ووصل الأمر ببعض الجنود أن نقشوا شارة فرقتهم على أذرعهم وسيقانهم بالوشم.

ارتبط الجيش الانكشاري بالنظام العسكري الصارم فكانت تتم ترقيتهم حسب الأقدمية ويتلقون رواتب وعلاوات بالإضافة إلى الأوسمة التي يقدمها السلطان أو الصدر الأعظم في الكثير من المناسبات ، وبالمقابل كانت تطبق العقوبات الصارمة على كل مخالف للقوانين تصل حتى الإعدام في حالة التمرد على الدولة.

يعتبر آغا الانكشارية من أبرز الشخصيات في الدولة العثمانية نظرا لوظيفته أنه يقود أكبر فرقة عسكرية في الدولة، علاوة على ذلك مكلف بوظيفتين أخرتين، أولها كرئيس لقوات الشرطة في استانبول، وثانيها المسؤول الأول على حفظ النظام والأمن بها. حيث كان له مقر خاص باستانبول ومكاتب أخرى بالأماكن المتواجدة فرقته بها يختاره السلطان من بين ضباط الفرقة، إلا أنه بعد وصول السلطان سليمان القانوني سدة الحكم بدأ اختيار رئيس هذه الفرقة من بين كبار ضباط القصر لمحاولة الحد من جبروت وطغيان هذه الفرقة.

يعقد ديوان أغا الانكشارية جلساته تحت رئاسة الأغا ليناقش فيه أمور الأوجاق والقضايا المتعلقة بذلك. كما لا يحق له المشاركة في اجتماعات الديوان الهمايوني إلا إذا كان برتبة وزير (أغا باش) وإذا كان كذلك سمح له بالدخول لغرفة العرض ليعرض على السلطان أمور الأوجاق.

لعب الانكشاريون دورا مهما في الجيش العثماني لتمتعهم بالشجاعة والكفاءة وحسن استخدامهم للعديد من أنواع الأسلحة القديمة كالمقلاع والقوس والسهام إلى جانب الأسلحة النارية الحديثة ، كما ساهم الانكشاريون في فتح جزر شرق البحر المتوسط كقبرص وكريت وغيرهما وفتحوا منطقة البلقان التي سقط

أمراؤها واحدة تلو الأخر خاصة بعد سقوط أدرنة ثاني مدن الدولة البيزنطية بعد القسطنطينية عام 1362م.[1]

فساد الانكشارية ورفضهم الإصلاحات:

يعتبر الجيش دعامة اساسية في بناء أي دولة وفي المقابل هو عامل هدم، يقول احد المفكرين السياسيين إن عوامل بناء وقوة الدولة هي نفسها عومل الضعف والهدم إذا تغيرت الظروف والأهداف والشخصيات.

مع بداية تأسيس الانكشارية لم يكن لديهم أي نفوذ سياسي داخل الدولة أو أي طموح لذلك، إلا أن النفوذ الوحيد المتمتعن به كان معنويا، لما اشتهروا به من القوة والشدة القتالية، وتبعيتهم المباشرة للسلطان، وأن كتائبهم وثكناتهم كانت تفصل وتميز عن بقية كتائب الجيش الأخرى.

وخلال كم السلطان سليمان القانوني وازدياد الفتوحات العثمانية في عهده كانت القوات الانكشارية هي مرتكزه واعتماده الأساسي عليهم في تلك الفتوحات، الأمر الذي جعلهم يحسون بأهميتهم، وأنهم أحق من غيرهم بتولي المناصب الكبرى في الدولة وقادهم غرورهم بالتدخل في كل أمورها أصبحوا يتمادون في طلب الأعطيات والهبات خاصة مع تولي كل سلطان جديد السلطة، كما وصل بهم الأمر إلى الاعتراض على مواصلة الحروب، وعز عليهم الاستكانة إلى الخلود والراحة، بل تمادوا إلى ما هو أخطر من ذلك ففي أثناء حربهم مع الصفويين أجبروا السلطان سليم الأول مرغما على قطع رأس الصدر الأعظم، ورأس قاضي العسكر، ورأس قائدهم نفسه، ولكثرة غيهم قاموا بقتل بعض السلاطين.

أدرك السلاطين أن الانكشارية لم تعد عامل قوة أو أداة طيعة يمكن الالتجاء إليها وقت الأزمات لمواجهتها، بل أصبحوا مصدر ازعاج للدولة، ولخطورتهم تم توزيعهم بين الولايات، ولم يبق منهم بالعاصمة العثمانية عدا أربعة ألاف انكشاري فقط، لقناعة السلاطين المتعاقبين بخطرهم، لأن بقاءهم بأعداد كبيرة في مكان واحد يزيد من قوتهم وجبروتهم وازدياد مشاكلهم.

ونظرا لضعف الدولة العثمانية اقتصاديا، وما كان يصرف على هذه الفرقة من أموال ارهق خزينة الدولة، وهي فرقة مستهلكة نظرا لإقامتهم داخل ثكناتهم ولا يخرجون منها إلا أيام الحرب تم يعودون لها، وبعد صدور الفرمان السلطاني بالسماح لهؤلاء بالزواج وممارسة حياتهم العادية التي كانوا محرومين منها،

[1] المرجع السابق، ص 324

محاولة من الدولة التخفيف من نفقاتهم، حيث أهتم هؤلاء بحياتهم الاجتماعية والاقتصادية الجديدة أبعدتهم عن الحياة العسكرية التي كانت شغلهم الشاغل، مما سبب ضعف هذه الفرقة عسكريا، وأصبح انتماءهم لها وراثيا، ولا يذهبون إلى ثكناتهم إلا وقت استلام الراتب، رغم السماح للانكشارية بممارسة حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والاختلاط مع شرائح المجتمع المختلفة فإن ذلك لم يخفف من جبروتهم على الدولة والمواطنين الذين تضرروا من شرورهم حيث بدعوا يتعمدون ممارسة السلب والنهب واقتحام البيوت ومهاجمة الأعراض.

رفض الانكشاريون تطبيق النظام الجديد وإدخاله في فيالقهم العسكرية، الأمر الذي زاد من خطرهم وتمردهم وعصيانهم، وليقينهم أن هذا النظام إذا ما تم تطبيقه سيجبرهم إلى الاندماج مع فيالق أخرى وفرق جديدة تفقدهم خصوصيتهم و امتيازاتهم الخاصة.[1]

برزت معارضة الانكشارية للإصلاحات زمن السلطان سليم الثالث 1789-1807م، لأنه كان مقتنعا بالإصلاحات في كافة المجالات خاصة فرق الجيش بما فيهم الانكشارية الذين رفضوا الإصلاح، والقيام بالتدريب العسكري واستعمال الأسلحة الحديثة واعتصموا اعتراضا على تنفيذ ذلك.[2]

كان اعتراض الانكشارية على اصلاحات السلطان سليم الثالث (1789-1807م) وغيره من السلاطين دليل على التدهور والتهور والانحلال الذي وصلوا إليه، فقد سبقت هذه الإصلاحات موجة من الاضطرابات والفساد من قبلهم تمثلت في عزل وقتل السلاطين وكبار رجال الدولة.

لم يكتف الانكشاريون بعزل السلاطين وكبار رجال الدولة، بل عمدوا إلى خلق المشاكل في المناطق التي ضمتها الدولة إلى حوزتها، فأعمالهم المرعبة لم تقتصر على العاصمة وضواحيها، بل امتدت إلى منطقة البلقان وشمال أفريقيا ، فعلى سبيل المثال لعب الانكشاريون في شمال أفريقيا دورا أساسيا، وكانوا القوة الداعمة التي اعتمد عليها الأخوان بربروسا وخلفاؤه من بعده في فرض سيطرتهم على الجزائر، حيث سيطروا بها على الديوان الذي تكون من كبار ضباطهم، ونافسهم في ذلك كبار قراصنة البحر، إلا أن اليد العليا للانكشارية مكنتهم مقاسمة القراصنة الغنائم التي يحصلوا عليها.[3]

---

[1] المرجع السابق، ص 324.

[2] نفسه، ص 326.

[3] نفسه، ص ص 327-330.

مما سبق فإن تدخل الانكشارية وسيطرتهم على مقاليد السلطة في البلاد وتدخلهم في كل صغيرة وكبيرة بالدولة أهمها منصب السلطان، فقد ثاروا على عدد منهم، وتم عزلهم وقتلهم. هذه الأسباب جعلت المسؤولين بالدولة يفكرون جليا بالقضاء على مؤسسة الانكشارية لما سببوه من ضعف عام للدولة وطموحهم ورغبتهم بالسيطرة على مؤسسات الدولة و مقاليد السلطة بها، وانغماسهم في الحياة العامة وملذاتها، وتركهم ساحات القتال، واتجاههم إلى السلب والنهب خاصة أثناء عمليات الغزو. ونتيجة لتلك السياسة خسر العثمانيون الكثير من القلاع والحصون والسيطرة عليها من قبل أعدائهم الأوربيين. حاول السلطان عثمان الثاني 1618– 1622 م القضاء عليهم إلا أنهم سرعان ما خلعوه وقتلوه.

حاول السلطان محمود الثاني 1808– 1839 م الذي وضع نصب عينيه العمل على انهاء مؤسسة الانكشارية التي اتسمت بالتسلط والتخريب والعنف، حيث أيقن أنه لا يمكن اصلاح الوضع القائم الذي عليه الدولة من فوضى وضعف ما لم يقم بإصلاح الجيش بما فيها الجيش الانكشاري، الذين لم يتقبلوا سياسة الإصلاح، وكرد فعل لهؤلاء ثاروا على السلطان محمود الثاني وابرموا النار في أغلب المناطق[1] .

وخوفا من تدمير العاصمة أذعن السلطان لمهادنتهم مرجئا تنفيذ برنامجه الإصلاحي إلى وقت قادم حاول السلطان مرارا مع هؤلاء قبول فكرة الإصلاح إلا أنه فشل مع كل المحاولات التي اتخذت معهم. لذلك أمر صدره الأعظم أن يدعو إلى اجتماع في 27 مايو 1826م بدار شيخ الإسلام حضره كافة كبار قادة الجيش، وكبار ضباط فيالق الانكشارية، ورجال الدين على رأسهم شيخ الإسلام، حيث طرح في هذا الاجتماع ما آل إليه حال الانكشارية من سلب ونهب وتدهور وانحلال، أدي إلى ضعف عام في مؤسسات الدولة، وبالتالي ضرورة الأخذ بالنظم الحديثة وعلى رأسها مؤسسة الانكشارية من تحديث وتدريب وتسليح، وسرعان ما لاقت هذه الأفكار قبولا واستحسانا من الجميع بما فيهم ضباط الانكشارية، وما زاد في سرعة قبول الأفكار الفتوى التي أصدرها شيخ الإسلام بضرورة الأخذ بالنظم الحديثة وتطوير الجيش. وكان من أهم نتائج الاجتماع أن أصدر السلطان في 28 مايو 1826م فرمانا باسم خطي شريف الذي نص على وجوب تحديث الجيش وفقا للنظم الأوربية الحديثة.

وردا على هذا القرار تمرد الإنكشاريون في استانبول يومي 14، 15 يونيو 1826م و بدعوا يشعلون النار في مبانيها، ويقتحمون المنازل، ويحطمون المحال التجارية، وقد أعتبر هذا آخر تمرد لهم،

[1] المرجع السابق ،ص327

حيث أصدر السلطان أوامره للجيش يوم 15 يونيو 1826م بتطويق المتمردين في ساحة آت ميداني لوقوفهم في وجه الإصلاح، وتم قصفهم بالمدافع كانت حصيلة القتلى كبيرة جدا حوالي 6000 جندي.[1]

ومما نستخلصه في هذه المحاضرة:

– ان تأسيس الجيش الانكشاري كان بشارة خير وقوة داعمة وركن من اركان الدولة العثمانية وكان محط إعجاب الكثير من الدول الأوربية التي فضلت الرضوخ وتوقيع معاهدة الاستسلام او الهدنة عوض المواجهة المباشرة.

– ان نظام وهيكل الجيش كان متطورا ويتميز بالانضباط وتنوع الفرق القتالية ويؤدي مهمته على أحسن وجه وهي حفظ الاستقرار وحماية حدود الدولة ،وتنفيذ مشروع توسيع الدولة التي وصلت على خارج حدودها البرية ووصلت إلى أقصى الشرق والغرب لتصبح بذلك أكبر إمبراطورية قوة ومساحة.

– فساد الانكشارية ورفضهم الإصلاحات: كما سبق وقلنا ان تغسر الأهداف والمبادئ والشخصيات يؤدي إلى انهيار الدولة ،فمبادئ الجهاد والولاء للدولة والتضحية والموت في ساحات القتال أصبح في اواخر العهد العثماني ضربا من الخيال، إذا اصبح للجيش رغبة في الوصول على السلطة والاستحواذ على المناصب العليا، بل وصل بهم الأمر على الآمر على السلاطين وقتلهم مما خلق الفوضى والتمرد، إن الجيش الي كان صمام امان الدولة اصبح هو الخطر الداهم على الدولة.

الواقعة الخيرية: بقدر ما كانت الواقعة الخيرية مصدر ارتياح للسلطان محمود الثاني بقدر ما كانت نقمة على الدولة التي خسرت اكبر واقوى فرقة فالجيش العثماني الذي تهالك واصبح ضعيف فيما بعد ويعتبر سببا من اسباب انهيار الدول والتعجيل بتفكيكها.

[1] المرجع السابق، ص ص 334–135.

محور 1: المحاضرة 3: المجتمع والثقافة في الدولة العثمانية

توسعت الدولة العثمانية في اقصى الشرق والغرب وأصبحت إمبراطورية مترامية الأطراف برا وبحرا ،تضم شعوب مختلفة ،شكلت نسيج اجتماعيا متنوعا يضم عرقيات واجناس وملل مختلفة من اتراك وعرب ومسيحين ويهود وأسيويين ...، هذا التنوع كان في بدايته جميلا ويرمز إلى قوة الدولة التي حافظت على مبادئ وقيم التسامح وواصلت نشر البعد الحضاري للإسلام ، كما ان امراء الدولة العثمانية وعلمائهم كانت لديهم فكرة مترسخة وهي الحفاظ على الموروث للامة الإسلامية الذي تعاقبت على حمايته الخلافة الأموية والخلافة العباسية.

يرى الكثير من المؤرخين ان الدولة العثمانية كانت منارة للرقي والحضارة ومركز أمان واستقرار تتمتع بنظام سياسي وروحي لا مثيل له فالعالم، وهنا نتسأل عن ماهية المجتمع العثماني الذي يضم الاختلافات والمتناقضات في إطار واحد وعلى مسافة امان متساوية بين سكانه؟ إن وجود الكثير من الملل يدفع التساؤل عن تعليمهم، عن عاداتهم وتقاليدهم عن قضائهم عن حقوقهم عن واجباتهم؟

كما قلنا سابقا ان المؤسسة العسكرية دعامة أساسية في بناء الدولة فإن العلماء يعتبرون ايضا دعامة لبنة اساسية في البناء والحفاظ على استقرار الدولة.

فالعلماء هم رجال الدين والعلم من فقهاء ومفتين وأئمة وقضاة ومستشارين كانت لهم مكانتهم وحظوتهم عند الأمراء والسلاطين منذ العهد الأموي والعباسي ثم عصر الخلافة العثمانية، فالأمراء كانوا لا يستطيعون اتخاذ قرارات مصيرية فالسلم والحرب دون العودة إلى علماء الدين.

يذكر احد المؤرخين ان فتح القسطنطينية على يد محمد الفتح كان بفضل تشجيع شيخه آق شمس الدين، كما ان السلطان سليمان القانوني والسلطان سليم الأول كانا لا يتخذا قرارا دون العودة واستشارة شيخ الإسلام، دون ان ننسى السلطان محمود الثاني الذي كان محبا للعلم والعلماء.

يمكن القول أن الرابط الأساسي والمتين بين أي سلطة والرعية لا يمكن ان ينجح دون ان يكون الوسيط الأساسي السلطة الدينية الروحية إن صح التعبير للأن قدسية ومكانة العالم في المجتمعات الإسلامية ظاهرة إجبارية تطغى على كل سلطة سياسية.

يرى الدكتور حسين الضيقة ان العالم العارف في نشأة الدولة العثمانية، بما هو تعبير عن ائتلاف وتوجد تيارات فكرية واجتماعية وسياسية لها مرتكزاتها الثابتة المتمثلة بشتى المؤسسات العلمية (المدارس)

والتعبدية (المساجد والزوايا والاجتماعية (طوائف الحرف والمهن والسياسية) الطرق، الآخيان، جمهرة المرابطين والمجاهدين). هذه المؤسسات التي تشكل نسيج دورة الاجتماع الاسلامي، هي التي وفرت مكانة خاصة للعالم العارف تتيح له المشاركة الفاعلة في رسم معالم توازناتها وآفاق حراكها، سواء منها المتصل بأهداف ومقاصد فرعية أو المنفتح على قضايا المدار الاجتماعي العام التي تتوزع بين محاور عديدة منها محور الدعوة ومحور الجهاد بتعبيراته الداخلية أو الخارجية، ومحور التشريع والقضاء... [1]

هذه الصيرورة تدفع باتجاه بلورة أدوار ثقافية واجتماعية وسياسية مركبة أتاحت للعالم أن يقيم علاقة تواصل مع «أهل الثغور»، محكومة بجملة الضوابط والتوجهات التي تحكم تشكيلات المجتمع. لهذا فعندما يقوم العالم العارف بمبايعة «الأمير الغازي» المؤسس للدولة العثمانية، فإنه في الواقع لا يبايع صاحب السيف بما هو قوة متأصلة بذاتها، بل تأخذ البيعة هنا مدلولها الخاص باعتبارها إضفاء للشرعية، من قبل المجتمع وعبر علمائه، على أطر جهادية متفرعة عن مداره العام. هذه الأطر التي تستمد شرعيتها انطلاقا مما تنهض به من أدوار عامة صاغتها تكوينات المجتمع على اختلاف مواضعها، تشكل المدخل الرئيسي لتكون مباني السلطة لاحقة، وهي بهذا المعنى مستوى من مستويات الاجتماع السياسي العام الذي تتقاطع وتتكثف داخل متونه كافة التعبيرات السياسية لدورة الاجتماع العامة. وبالتالي لا يمكننا مقاربته باعتباره متغيرة مستقلا مالكة لشروطه الذاتية التي تؤهله لفرض مشروعيته الخاصة في ضوء هذه الخاصية، تشكل عملية المبايعة تعبيرا عن سباق سياسي كثيف أفضى إلى ولادة مرجعية سياسية عامة للمجتمع ومالكة المقومات نشوء ونمر وترسخ مؤسسات السلطة السياسية الحاكمة.

إن التقليد والموروث الديني والسياسي في اختيار الحاكم في الأمة الإسلامية كان قائما على مجموعة من الشروط الأساسية يجب ان تتوفر في الشخصية من دين وعلم وقوة وحكمة وكل هذا ويخضع بعدها على امر الشورى، إذ تعتبر الشورى مبدا اساسي في اختيار الخليفة أو الأمير ومع مرور الوقت تطور مبدا الشورى ليصبح مؤسسات سياسية وقانونية مهمته قبول او رفض الأمير او الخليفة، لكنها في الكثير من الأحيان دورها كان شكليا خاصة وان التوريث كان هو النظام السائد، واقتصرت مهمة هذه المؤسسات على التزكية والإشادة بالأمير، ولا يمكننا تعميم هذه الفكرة إلا ان السلطة او المؤسسة الدينية كانت فاعل وداعم للكثير من التمردات والثورات بانحيازه ودخولها في صراع بين أمراء الأسرة الحاكمة حالها حال المؤسسة العسكرية.

[1] حسين الضيقة: الدولة العثمانية، الثقافة، المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1997، ص 104.

يرى الدكتور حسن ضيقة ان عملية بناء مؤسسات السلطة وترسخ مرتكزات قوتها الذاتية، تنطوي على العديد من الاشكاليات نتوقف هنا عند إحداها. فإذا كانت السلطة الناشئة هي بمعنى ما نتاج ومحصلة لمباني وتوازنات الاجتماع السياسي، فإنها بالمقابل تستطيع أن تنتزع موقعا مستقلا عبر تصديها لأدوار خاصة. ففي طي صيرورة التصدي هذه تراكم مؤسسات السلطة الناشئة مصادر قوتها الذاتية التي تؤهلها للانتقال من موقع التابع لما دونها من توازنات إلى موقع جديد يمتلك خاصية الاستقلال والفاعلية الذاتية في علاقته بمداره العام ،تفضي هذه النقلة النوعية في وضعية السلطة إلى ولادة حقل سياسي جديد يمتلك القدرة على التدخل الفاعل في إعادة تشكيل توازنات المجتمع التي انبثق عنها.[1]

إن باستطاعة العالم أن يضبط هذه المعضلة في المراحل الأولى من نشأة السلطة، ونظرا لما يمتلكه من ثقل اجتماعي له امتداداته السياسية داخل حقل السلطة نفسها، فإن بإمكانه أن يسهم إسهامه أساسية في تحديد وضبط اهداف السلطة سواء في مواجهة معضلات الداخل أو تحديات الخارج. كما أن بإمكانه عن طريق ما يختص به من أدوار تشريعية وقضائية أن يسهم في صياغة وتقنين الأطر التشريعية الناظمة لمباني المجتمع من جهة وتولي تنفيذها من جهة ثانية.

غير أن هذه الاسهامات التي تتيح لجمهرة العلماء انتزاع مواقع مفصلية داخل أبنية السلطة الناشئة لا تختصر كافة المسائل المتفرعة عن قيام السلطة، بما هي حقل سياسي مؤسساتي يمتلك القدرة على إنشاء مرتكزاته وفقا لمنطوقه الخاص.

بهذا المعنى، فإن جملة الضوابط التشريعية والسياسية والقضائية التي يستطيع العالم عن طريقها احتلال مكانة مركزية داخل حقل السلطة، لا تغطي شتى الجوانب المتصلة بمسألة الحكم بل أكثر من ذلك فإنها لا تقتحم لب هذه المسألة بما هي مرتكز رئيس من مرتكزات معادلات الاجتماع السياسي العام، أو كتاب الأمة إن جاز التعبير، فمؤسسات الحكم ليست امتدادا الشخص الحاكم، وإن كان يشكل إحدى مرتكزاتها.[2]

كما أنها ليست بالة أو وسيلة لتطبيق أحكام الشريعة، وان كانت تختص بجوانب أساسية من هذا الدور، أضف إلى ذلك انها ليست محكومة فقط بمقاصد الشريعة كما تراها قوى المجتمع، وإن كان لهذه

---

[1] المرجع السابق، ص 105.

[2] نفسه، ص 107.

المقاصد دورة أساسية في المراحل الأولى من نشأة السلطة، في صياغة مباني مرجعيتها الثقافية والسياسية.

فالسلطة، هي شخصية سياسية عامة تتكثف داخل متونها أزمنة الأمة على اختلاف مشاربها. ولكن هذه الخاصية تؤسس لدينامية أخرى مغايرة، تجد تعبيراتها في اتجاه السلطة الثابت لإعادة تشكيل مرتكزاتها على قاعدة ما تختص به من وظائف.

بمقتضى هذه الأولية يجد العالم نفسه أمام مرجعية اجتماعية جديدة، تمثلها مؤسسات السلطة الحاكمة. وانطلاقا مما تمتلكه هذه المرجعية من عناصر القوة الذاتية، فإنها تدفع باتجاه ثابت نحو تموضع شرائح من العلماء داخل مؤسساتها، وتقنين عملية التموضع هذه على صورة مشترع وقاض ومدرس وإداري... معمقة بذلك هامش استقلاليتها عن دورة الاجتماع العام، ومدشنة الطور جديد من صيرورتها يجد ترجمة له فيما تطلقه السلطة من سياسات خاصة بها بغية تطويع وضبط هيئات المجتمع المختلفة وبالتالي إخضاعها لمنطقها الخاص.

يمكننا القول ان السطلة الدينية امر واقع املته الظروف وحاجة السلطة الدينية إلى واجهة تتصدر المشهد السياسي وتتبنى توجهات الدولة، ولا يمكننا حصرها في شخص بذاته بل هي مرجعية دينية وثقافية معينة تؤسس لمذهب الدولة، وخلاصة القول ان العالم أصبح ذو مكانة وفاعل اساسي في الحكم.

وإذا كان باستطاعة العالم بما هو تعبير سياسي لدورة الاجتماع العامة، داخل مجال السلطة، أن يسهم في صياغة هيئاتها وضبط توجهاتها عبر جملة الأدوار التشريعية والعلمية والقضائية ... التي يتولاها، فإن السلطة بالمقابل تعمل بشكل بطيء ولكن ثابت على تطويع هذه الأدوار بما يتناسب واحتياجاتها في كل طور من أطوار حراكها، وتتخذ عملية التطويع والتكييف هذه مسالك متشعبة ومعقدة، يمكننا الإشارة إلى اتجاهاتها العامة دون الوقوع في أسر أية لغة تقنينية ساكنة.

اتخذت آلية انخراط شرائح من جمهور العلماء داخل مباني السلطة صيغة عديدة غطت شتى الأدوار التشريعية والسياسية والقضائية والتعليمية والادارية التي أنيطت بأجهزة العلماء، كما تعرضت هذه الصيغ لجملة من التغيرات قبل أن تستقر وتتخذ أشكالها المؤسسية الراسخة، في مرحلة الأوج من عمر السلطنة العثمانية، أي المرحلة الممتدة بين مطلع النصف الثاني من القرن الخامس عشر ومطلع النصف الثاني من القرن السادس عشر، عنينا بذلك المرحلة الممتدة بين فتح القسطنطينية (1452) وعصر سليمان القانوني (1566).

تتسع دائرة المهام التي أناطتها السلطة بجمهرة علمائها لتغطي مراكز عديدة أبرزها:

- **مركز الافتاء** الذي تطور لاحقا ليتخذ صبغة مؤسسة التحقت بها مراكز أخرى.

- **مركز القضاء.**

- **مركز الهيئات العلمية** التي تتولى الاشراف على المدارس التي أنشأتها الدولة، والتي تشمل كافة مراكز السلطة.

- **مركز نظارة الأوقاف.**

- **مركز نقيب الأشرافه،** يضاف إلى ذلك انتزاع مؤسسة شيخ الاسلام لاحقة لصلاحية تعيين شيخي الطريقة البكتاشية والمولوية.

لقد أتاحت هذه المراكز على اختلاف مواضعها ووظائفها اللصيقة بكافة مباني السلطة، لجمهرة علمائها ممارسة أدوار سياسية فاعلة على شتى الصعد، إلا أن هذه الفاعلية السياسية تشترط بالمقابل تكيفها وخضوعها لجملة الأواليات الناظمة لمنطق السلطة ككل، وذلك أخذا بعين الاعتبار لكون هذه الأواليات هي نتاج ومحصلة تداخل وتفاعل مؤسسات السلطة المختلفة، بما في ذلك شتى المؤسسات والمراكز والأدوار التي يتولاها جمهرة العلماء[1]، وإذا كان من الواضح أن ثقل كل من هذه المؤسسات عرضة للتبدل والتغير في ضوء ما يطرأ على كل منها من تحولات أو ما يستجد من معطيات ووقائع ومؤسسات أيضا، فإن ذلك لا ينفي خاصية الفاعلية السياسية لكل منها. بهذا المعنى قد تتعاظم أدوار على حساب أدوار أخرى، وقد تنقلب دلالات كل من هذه الأدوار، وقد تزاحمها وتتعارض معها أدوار جديدة ولدت في سياق التحولات التاريخية لمباني السلطة، إلا أن كل ذلك يشير إلى تحول في المنطق العام الناظم لحقل السلطة ولكن بالمقابل لا يفقد أي من مؤسساته خاصية الحضور السياسي الفاعل.

بهذا المعنى إن التأكيد على خاصية الدور السياسي الثابت الجمهرة العلماء المندرجين في زمن السلطة، بالرغم ما يطرأ على هذا الدور من تقلبات تتضافر في توفير مستلزماتها وقائع شتى، منها ما يتصل بوضعية العالم نفسه ومنها ما يتصل بمنطق السلطة ككل، يفرض علينا بلورة وتطوير مداخل منهجية قادرة على التقاط أواليات هذه الصيرورة، ففي حالة الدولة العثمانية ارتبطت عملية تأطير الدور

[1] المرجع السابق، ص 108.

العلمائي داخل مدار السلطة بمرحلة الأوج الممتدة بين عهد محمد الفاتح وعهد سليمان القانوني. لهذا السبب بإمكان العالم أن يجد صيغة توافق بين وضعيته السابقة[1]، تؤسس مرحلة اكتمال بناء مؤسسات السلطة على اختلاف مواضعها، وما يقترن بذلك من أطر تشريعية وتقنينية، إلى دخول وضعية العلماء المندرجين في حقل السلطة الداخلي في طور جديد – أو ما أسميناه الزمن الثالث–.

إن الخاصية المركزية التي تطبع هذا الطور، تتمثل في خضوع شتى المواقع التي يتولاها جمهور العلماء لمقتضيات قطب السلطة كاتجاه رئيس غالب ومتحكم. وقد اكتملت شروط هذه الوضعية[2]، وبانت معالمها بدءا من أواخر القرن السادس عشر، أي بعد مرحلة سليمان القانوني، لتغدو في القرن السابع عشر وفي المراحل اللاحقة عنوانة مركزية من عناوين صيرورة السلطة. هذه الصيرورة التي تشير إلى دخول مباني السلطة المختلفة في طور الجمود المفضي إلى حالات التفسخ والانهيار لاحقا.

ينطوي هذا الزمن على العديد من التغيرات الكاشفة لمنطقه الخاص، والتي تجد تعبيرا عنها على غير صعيد.

بداية يؤدي خضوع هذه المراكز لمنطق السلطة إلى إحداث تغيير نوعي في طبيعة الدوافع والأهداف السياسية التي تضبط وظائفها وأدوارها. وقد غدت هذه الدوافع والأهداف في هذه المرحلة من صيرورة السلطة نتاجا لعالم السلطة الداخلي.

تنعكس معالم هذا التغير انعكاسا مباشرة على منطق اشتغال مؤسسات العلم نفسه. وهذا ما يجد تعبيره في ولادة معايير وتقنينات وأعراف جديدة تؤدي من جهة إلى تعميق صلة هذه المؤسسات بمنطق السلطة.

1. أهمية منصب شيخ الاسلام:

بقيت مرجعية الافتاء متحررة من أسر مؤسسات السلطة الحاكمة طوال المرحلة الممتدة ما بين نشأة الدولة العثمانية وحتى النصف الأول من القرن الخامس عشر.

فقد جاء في قانون محمد الفاتح أن شيخ الاسلام هو رئيس العلماء، وكذلك معلم السلطان. غير أن الصدر الأعظم كان أرقى منهما من حيث الوظيفة، إلا أن المفتي ومعلم السلطان كانا أرقى مرتبة من

[1] المرجع السابق، ص 109.

[2] نفسه، ص 110.

الوزراء ويتقدمانهم)... هذا التصور القانوني الذي وضعه محمد الفاتح كان يعكس رؤية السلطة لموقع المفتي الأكبر، إلا أنه لا يحيط بواقع المسألة. فإذا ما تتبعنا مواقف مفتيه العالم أحمد الكوراني، الذي كان يعين القضاة دون الرجوع إلى السلطان[1] كما فرض عليه إعادة محي الدين ابن الخطيب (من أول المدرسين في المدارس الثمان) إلى التعليم بعد أن كان قد عزل، أضف إلى ذلك ما أثر عنه من أنه كان يخاطب السلطان باسمه وكان إذا لقي السلطان يسلم عليه ولا ينحني له ويصافحه ولا يقبل يده».. ويتكرر الموقف نفسه مع ابن الخطيب بعد تقاعده، عندما زار السلطان بايزيد الثاني (1421 – 21512). وتستوقفنا في السياق نفسه مواقف المفتي الورع رنبلي علي جمالي (1503 – 1526)، الذي أجبر السلطان سليم على التخلي عن توجهه، والدولة في أعلى مراحل قوتها، لتحويل جميع كنائس السلطنة إلى مساجد، وتخيير المسيحيين بين الدخول في الاسلام أو القتل ...

لقد بقي موقع شيخ الاسلام حتى عهد سليمان القانوني عرضة للتجاذب بين منطوق السلطة وبين منطوق المفتين الذين حافظوا وهم داخل السلطة على الروحية العامة التي كانت تحكم المدارات العلمية والاجتماعية التي أتوا منها.

وفي مطلع القرن الثامن عشر (1703م)، حصلت انتفاضة شعبية في استانبول ضد شيخ الاسلام لاحتكاره الوظائف العليا لعائلته وقد أدت هذه الانتفاضة إلى عزل شيخ الاسلام ومن ثم إعدامه.

إن سياق تفكك وتفسخ الهيئة الاسلامية الحاكمة، أحالها من مركز مقوم وموجه لسياسات السلطة، إلى إحدى نقاط ضعفها القاتلة، الأمر الذي جعل منها موضوعة ينبغي إصلاحه والتصدي لسلبياته المختلفة. فقد جاء في الرسالة الاصلاحية لقوجي بيك الموجهة إلى السلطان مراد الرابع (عام 1630)، جملة من التنبيهات الكاشفة لوضعية هذه المؤسسة وما يخترقها من نقاط اختلال متعددة الأوجه.

انتشار التصوف :بقيت ظاهرة التصوف والاهتمام بأمور الدين مهمة منذ العهد المملوكي في المجتمع الربي بسبب سيادة المذهب السني في البلاد العربة وقد تمتع العلماء بمكانة مهمة لتوليهم امور القضاء والإفتاء والتعليم [2]، وقد استخدم الكتاب العثمانيون اللغة العربية لتدوين مؤلفاتهم الدينية إلا انهم اخذو منذ قرون ترجمة هذه المؤلفات إلى اللغة التريكة [3]

---

[1] المرج السابق، ص 120.

[2] اندري رايمون: المرجع السابق، ص 41.

[3] خليل إينالجيك، المرجع السابق، ص ص 263–266.

ما يمكننا ان نستنتجه مما سبق:

– الدولة العثمانية كانت منارة للرقي والحضارة ومركز أمان واستقرار تتمتع بنظام سياسي وروحي لا مثيل له فالعالم.

– ان الدولة العثمانية بدأت تفكر في وضع العلم والعلماء في مؤسسات قوية في الفترة الممتدة بين عهد محمد الفاتح وعهد سليمان القانوني.[1]

– ان محم محمد الفاتح هو من أصدر قرار إنشاء منصب شيخ الاسلام رئيس العلماء، وكذلك معلم السلطان.

– ان سليمان القانوني هو من جعل لمؤسسة شيخ الاسلام مبنى داخل مباني السلطة.

– ان مؤسسات السلطة الدينية هي: شيخ الإسلام مركز الافتاء، مركز القضاء، مركز الهيئات العلمية، مركز نظارة الأوقاف، مركز نقيب الأشرافه.

– ان المؤسسة الدينية انحرفت في مرحلة من المراحل وانتقلت من مركز صنع القرار إلى مركز لإحداث الفوضى، حتى عهد السلطان مراد الرابع الذي أقر مجموعة من الإصلاحات لمنصب شيخ الإسلام.

[1] نفسه، ص129.

المحور الثاني

- محاضرة1: التوسع العثماني في بلاد المشرق العربي
- محاضرة2: التوسع العثماني في بلاد المغرب العربي
- محاضرة3: الإدارة العثمانية في البلاد العربية.

محور2: محاضرة 1: التوسع العثماني في المشرق العربي

في بداية تطورها توسعت نحو الغرب لكن مع مرور الزمن وجهت الدولة العثمانية انظارها نحو المشرق العربي، هذا التوجه يرجعه المؤرخون لأسباب عديدة اهمها: الفراغ السياسي الحاصل في المشرق العربي جراء الزحف المغولي وهنا نتسأل عن نتائج الزحف المغولي نحو المشرق العربي؟ وعن التوسع العثماني والانتصارات والإنجازات التي حققتها؟ كما نتسأل عن السياسة الإدارية والاقتصادية والثقافية التي انتهجتها الدولة العثمانية في الولايات العربية؟

تعرضت بعض البلاد العربية للركود والتدهور إثر سوط بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية على يد المغول سنة 1258 م وقد انهارت الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية [1] وبرغم الهجمات التي تعرض لها المشرق العربي، إلا أن تأثيرات هذا الغزو المباشر عليه اقتصرت على العراق الذي فقد وحدته السياسية، ذلك السلاح الذي واجهت به مختلف التحديات والتعديات التي جابهتها داخليا وخارجيا، وهكذا أصبح المشرق العربي محا إلى إمارات ودويلات متناحرة جعلت منها مطمعا لكل طامع، ولذا مع منتصف القرن الثلاث عشر، ظهرت على مسرح الأحداث دولة استطاعت أن تعيد للمشرق العربي والإسلامي مكانته التاريخية والحضارية وهي دولة المماليك، حيث أننا نجد أن الدراسات التاريخية الحديثة والمعاصرة تعترف وتقر بالدور والأهمية الكبرى التي لعبتها دولة المماليك في تطور أحداث المشرق العربي وتبرز ذلك في:

– نجاح المماليك في إنقاذ المشرق من الخطر المغولي، وأنه لولا اتحاد بلاد الشام ومصر في ذلك الوقت ما أمكن تحقيق الانتصار على المغول.[2]

كما تزعم المماليك العالم الإسلامي لفترة من الزمن خاصة بعد استقدام الخليفة العباسي إلى مصر، وبذلك انتقلت الخلافة العباسية إلى القاهرة وبقيت مصر مركز الخلافة الإسلامية ومحط أنظار المسلمين. لقد حاول المغول التوسع على حساب بلاد الشام بعدما سقطت عاصمة الخلافة العباسية بغداد. إلا أن سلطان المماليك في مصر قطز، خرج على رأس جيش إلى الصالحية لملاقاة المغول. والتقى الجمعان في معركة عين جالوت عام 1260م، الحزم على إثرها المغول وفر جيشهم أمام، ضربات المماليك الذين

[1] محمد عبد الله عودة، إبراهيم ياسين الخطيب: تاريخ الغرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن 1989، ص9.

[2] بوسلامة محمد: المشرق العربي تحت الحكم العثماني، مجلة الخلدونية، عدد 9، 2016، ص178.

طاردوهم حتى أخرجوهم من بلاد الشام إلى ما وراء الفرات. إن الوحدة التي تحققت بين مصر والشام، عقب عين جالوت مكنت المماليك من الوقوف بالمرصاد لأية محاولة من المغول، وهكذا أصبحت سلطنة المماليك في مصر أكبر قوة في المنطقة، عملت على حماية مصر وسوريا من أعظم خطر ظل يهدد العالم العربي الإسلامي في ذلك الوقت".

لقد انتقلت زعامة العالم العربي الإسلامي إلى مصر والشام بعد أن ضاع العراق في يد المغول. وما زاد في أهمية مصر، انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة في عهد السلطان الظاهر بيبرس" (1260-1277م) الذي استقدم أحد أبناء البيت العباسي وبايعه بالخلافة فلقب "بالمستنصر بالله" وقام هذا الأخير بتقليد السلطان المملوكي "بالديار المصرية، والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية". وهكذا استمرت مصر حتى الفتح العثماني عام 1517 كقاعدة للخلافة الإسلامية ومحط أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.[1]

ويمكننا القول ان مصر في فترة المماليك شهدت فسادا كبيرا في المؤسسة العسكرية وصراعا على السلطة ادى كل هذا إلى تفشي الفوضى السياسية والاستقرار التي كانت لها تبعات على جميع الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية.

كانت التجارة ذات أهمية بالغة بالنسبة لمصر خاصة التجارة بين أوربا والشرق الأقصى مرورا بالشرق الأوسط، حيث كانت تجارة التوابل والحرير تنقل عبر طريقين يمران بالمنطقة العربية يسمى أحدهما طريق الحرير والآخر طريق التوابل، وفي عام 1498م وصل فاسكو دي فاما البرتغالي إلى الهند عبر طريق رأس الرجاء الصالح.[2]

تحققت بين مصر والشام، عقب عين جالوت، مكنت المماليك من الوقوف بالمرصاد لأية محاولة من المغول، وهكذا أصبحت سلطنة المماليك في مصر أكبر قوة في المنطقة، عملت على حماية مصر وسوريا من أعظم خطر ظل يهدد العالم العربي الإسلامي في ذلك الوقت". لقد انتقلت زعامة العالم العربي الإسلامي إلى مصر والشام بعد أن ضاع العراق في يد المغول. وما زاد في أهمية مصر، انتقال الخلافة العباسية إلى القاهرة في عهد السلطان الظاهر بيبرس" (1260-1277م) الذي استقدم أحد أبناء البيت العباسي وبايعه بالخلافة فلقب "بالمستنصر بالله" وقام هذا الأخير بتقليد السلطان المملوكي "بالديار

[1] المرجع السابق، ص 179.

[2] نفسه، ص 180.

المصرية، والبلاد الشامية والديار البكرية والحجازية واليمنية والفراتية". وهكذا استمرت مصر حتى الفتح العثماني عام 1517 كقاعدة للخلافة الإسلامية ومحط أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

في عام 1509 أحرز البرتغاليون نصرا حاسما على الحملة البحرية التي أرسلها سلطان المماليك الغوريا في موقعة "ديو". وكانت هذه الموقعة الانطلاقة للانتصارات البرتغالية والسيطرة الحقيقية على التجارة الشرقية حتى منتصف القرن 17م. لقد أقام البرتغاليون قواعد عسكرية بحرية وبرية لإغلاق المعابر.[1]

2- التوسع العثماني في البلاد العربية :

تختلف الكتابات التاريخية حول التوسع العثماني في المشرق فمنهم من يرى احقية الدولة العثمانية بالتوسع للأن مشروع الإمبراطورية يقتضي توحيد كامل البلاد الإسلامية ،ويرى البعض الأخر أن توسع السلطان سليم الأول 1512-1520م معركة جالديران وموقفه المعادي للدولة الصفوية ،يرجع إلى الطابع الجهادي وأن العمليات العسكرية التي قام بها العثمانيون كانت تستوجب جمع القوى التي تشكل العناصر الأساسية لوحدة الخلافة الإسلامية في الشرق والغرب والهند والسند نحت قيادتها ،ولهذا كان السلطان سليم الأول يسعى إلى جمع الطوائف الإسلامية في نقطة وتعزيز قوة المسلمين وشوكتهم ثم التوجه نحو الغرب والشمال.[2]

كان لظهور الصفويين الشيعة في إقليم الأناضول العثماني بالنسبة للعثمانيين، من الأخطار التي تهدد سلامة الدولة العثمانية السنية. ولذلك بدأ الاحتكاك بين الطرفين، كانت فيه الغلبة في كثير من الأحيان لصالح العثمانيين، كما وجدت قبائل الحدود من التركمان، الذين كان العثمانيون يحاولون إخضاعهم لسيطرتهم في الشاه إسماعيل الصفوي حاميا وزعيما قوي إليه نفوسهم أكثر من هواهم للسلطان العثماني، رمز المذهب السني". إن تبني الدولة الصفوية للمذهب الشيعي، وسعيها بكل الطرق إلى نشره خارج حدود إيران، من العوامل التي أثارت حفيظة العثمانيين وعزمهم على وضع حد لطموحات هذه الدولة، التي استطاعت أن تحتلت مدينة كوتاهية ومحاصرة بورصة في الأناضول، مما جعل العثمانيين يعتمدون على سياسة الاضطهاد الديني ضد الشيعة المقيمين في بلادهما، يعد وصول سليم الأول إلى

---

[1] المرجع السابق، ص 180

[2] فاضل بيات: دراسات في تاريخ العرب في العهد العثماني، رؤية جديدة في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية، المدار الإسلامي، بيروت 2003، ص 92.

سدة الحكم، بداية تصادم حقيقي بين العثمانيين والشيعة خاصة عندما افتك السلطان سليم من شيخ الإسلام "صاري حوريز" وهو أعلى مرجع ديني في الإمبراطورية بفتوى تخرج الشاه إسماعيل وأتباعه من الجماعة الإسلامية وتبيح ذبحهم وقتلهم.[1]

معركة جالديران 1514م: أعلن السلطان سليم الحرب على الشيعة الصفوية وتوجه نحو مدينة أدرنة باتجاه مدينة تبريز في شهر مارس 1514م وتقدم السلطان سليم الجيش بنفسه متوجها إلى عاصمة الصفويين تبريز ورغم محاولة الجيش الصفوي إنهاك الجيش العثماني إلا أنهم لم ينجحوا في ذلك ووصل العثمانيون إلى تبريز والتقى الجيشان في وادي جالديران في 23 أوت 1541 وإنتصر الجيش العثماني وفر الشاه وقتل عدد كبير من جنده.[2]

ومن من نتائج هذه الحرب، انضمام منطقة ديار بكر والمدن الشرقية في الأناضول إلى الدولة العثمانية وكذا شمال العراق لتفتح بقية هذه المنطقة في عهد سليمان القانوني، كما استفاد العثمانيون أيضا من الجانب الاقتصادي والاستراتيجي، فأما الشق الأول، تمثل في سيطرتهم على الطرق التجارية في اتجاه الشرق، أما الشق الثاني، فيكمن في تحول هضبة الأناضول إلى سد يحمي الحدود الشرقية العثمانية.

معركة1517/01/22 الريدانية وضم مصر:

التقى الجيش العثماني وجيش المماليك في الريدانية في 1517/01/22م، فإنهزم المماليك وفتحت أبواب القاهرة ، ومكث السلطان سليم في القاهرة مدة 9 أشهر، ويقول أحد المؤرخين أن السلطان العباسي تنازل عن الخلافة المتوكل على الله فيذكر: " تنازل عن الخلافة وسلم آثار النبوية الشريفة البيرق والبردة واللواء وسلمه مفاتيح الحرميين الشريفين، ومنذ ذلك التاريخ صار على سلطان العثماني أميرا للمؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين."[3]

توجهت أنظارهم نحو البلاد العربية الأخرى المحاورة منها منطقة الحجاز وبلاد اليمن والعراق. فبالنسبة للحجاز، فقد دخل تحت السيادة العثمانية سلميا، حيث أعلن شريف مكة ولأنه للعثمانيين من خلال إرسال ابنه بمفاتيح الحرمين الشريفين، فأجازه العثمانيون بتفويض منهم بحكم الحجاز13، لقد ترتب

[1] المرجع السابق، ص 181.

[2] محمد فريد بك: المرجع السابق، ص 190.

[3] نفسه، ص 194.

على بسط السيادة العثمانية على إقليم الحجاز، ظهور العثمانيين في البحر الأحمر وحمايته من الخطر البرتغالي الزاحف على المحيط الهندي.[1]

ضم الحجاز واليمن:

ويرى كثير من المؤرخين أن التوسع العثماني على الحجاز واليمن كان سببه وجود الخطر البرتغالي والتهديد المباشر للأماكن المقدسة خاصة وللعالم العربي والإسلامي عامة"، ولما تشكل هذا الخطر رأى شريف مكة محمد (1495–1524) ،ان يتحول بولائه للعثمانيين بعدما كان إقليم الحجاز تحت السيادة الإسمية المملوكية. [2]

كان التوسع على إقليم اليمن سلميا في بداية الأمر، إلا أن نزاعا وقع بين المماليك على حكم اليمن. وخوفا من استغلال البرتغال لهذا الانشقاق، سارعت الدولة العثمانية إلى إرسال حملة بقيادة سليمان باشا الخادم عام 1538م لفض النزاع. إلا أن التوتر عاد من جديد بين اليمنيين والعثمانيين، نتج عنه خروج العثمانيين من صنعاء وعدن عام 1636م.

يتفق الكثير من المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ الدولة العثمانية على وصف الحكم العثماني في البلاد العربية على أنه كان حكما سطحيا، ولم تصل إلى تحذير وترسيخ حكمها بشكل قوي في هذه البلاد، ويرجع الكثير من الدارسين ذلك إلى تمسك العثمانيين الشديد بمبدأ المحافظة على النظم التي وجدوها أمامهم في المناطق التي توسعوا فيها واقتصارهم على إدخال بعض التعديلات التي كانوا يروها تحقق السيادة العثمانية.

الحياة الثقافية في البلاد العربية:

برز خلال العهد العثماني في البلاد العربية العديد من الحواضر العلمية والثقافية، في مقدمتها مدينة القاهرة بمصر ومكة المكرمة والمدينة المنورة وبلاد الشام. وتأتي القاهرة على رأس الحواضر العلمية المذكورة، فقد تنوعت المراكز العلمية بها وحفلت بالعديد من المدارس، كالمدرسة الأشرفية، المدرسة الصرغتمشية والمدرسة الصلاحية كما وجد بها العديد من الزوايا التي كانت الدراسات فيها تميل للاتجاهات الصوفية، بالإضافة إلى الدراسات الإسلامية العامة، ومن أهمها: زاوية الحضري والزاوية

[1] المرجع السابق، ص 179.

[2] إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص31.

القريبة من المشهد الحسيني، والزاوية الملحقة بالجامع الكبير بالمنصورة". وكانت أكثر مساجد مصر مراكز فكر وإشعاع، جلس بها العلماء وتحلق حولهم الطلاب، واكتسبت بعض هذه المساجد شهرة في مجال التعليم منها: جامع عمرو، جامع شيخون ومسجد الإمام الشافعي بالإضافة إلى جامع المشهد الحسيني.

أما الجامع الأزهر بالقاهرة، فقد احتل الصدارة في مصر بل وفي العالم الإسلامي. ومن أسباب احتلاله لهذه المكانة، انقراض الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس، ووقوعه في مكان يتوسط العالم الإسلامي، وقربه من الحجاز، بالإضافة إلى أهمية مصر الاقتصادية. ولهذا اجتمع به عدد كبير من العلماء الوافدين عليه من مناطق مختلفة بالمحاورين". وقد كان بعض هؤلاء المحاورين يقيمون بالقرب منه، في حين يقيم البعض الآخر داخله، وينقسمون إلى طوائف، لكل منها حارة ورواق خاص بها. ومن أقدم الأروقة التي شهدها الأزهر رواق المغاربة، وهو رواق كبير مخصص لأهل المغرب الإسلامي. وقد أصبح الرواق بمثابة مؤسسة ثقافية واجتماعية تقدم خدمات لأبناء المغرب الإسلامي.[1]

كانت مكة والمدينة المنورة مركزين مهمين من مراكز العلم في الدولة الإسلامية، وقد دب النشاط في الحركة العلمية بهما نتيجة ازدياد عدد العلماء الذين طاب لهم محاورة بيت الله الحرام. وقد كان المسجد الحرام أهم المراكز العلمية والتعليمية في الحرمين الشريفين لتعدد حلقات الدروس به، والتي كان يعقدها مشايخ من أجلة علماء الحرم، وآخرين وافدين عليه من مختلف مناطق العالم الإسلامي للحج والمحاورة. أما مدينة دمشق، فقد اشتهرت بجامعها الأموي الذي تعددت به حلقات الدروس. كما وجد بها عدد كبير من المدارس، حيث قدر ب 159 مدرسة، بعضها مخصص لتدريس القرآن الكريم والآخر للحديث الشريف، وبعضها للمذاهب الفقهية وغيرها من العلوم كما وجدت بالمشرق العديد من المدارس والزوايا والمساجد التي قامت بمهمة التعليم، غير أنها لم ترق إلى مستوى المراكز العلمية التي حفلت بها الحواضر الثلاثة السالفة الذكر، فبعضها كان بيت المقدس ونابلس وحلب . هذا وبالرغم من تنوع مراكز الثقافة التي ازدهرت بها حلقات الدروس العليا بالمشرق، فقد وصفت الحياة الفكرية والعلمية به بالتراجع أيام العثمانيين، وأوعز "عبد القادر عطا "ذلك إلى تحول القسطنطينية إلى عاصمة الدولة، ومركز ومحور ارتكاز في العالم الإسلامي، وبالتالي مركز النشاط العلمي والثقافي في الدولة التي تتكلم اللغة التركية[2].

---

[1] المرجع السابق، ص187.

[2] نفسه، ص ص 188- 190.

كما حمل "عمار هلال" العثمانيين مسؤولية إصابة العالم العربي الإسلامي بالضعف الثقافي والحضاري، معتبرا القرن العاشر الهجري أول مرحلة من مراحل التقهقر الذي مست جميع النواحي وفي مقدمتها العلوم وأصحابها وهي الظاهرة التي استمرت حسب رأيه طيلة العهد العثماني . وهكذا فقد أجمعت آراء هؤلاء الباحثين على اتسام الحركة العلمية والأدبية بالركود خلال العهد العثماني.

ومما سبق نستنتج مايلي:

- ان سقوط بغداد عاصمة الخلافة العباسية، عام 258 م على يد المغول، شكلا منعرجا خطيرا في المنطقة وأحدث فراغا سياسيا وفوضى وركود على جميع الأصعدة.

- انتقال الخليفة العباسي إلى مصر اعطى قوة وشرعية لأمراء المماليك لتزعم العالم الإسلامي مدة من الزمن ومواجهة الخطر المغولي خاصة على عهد الأمير قطر والأمير بيبرس.

- أن انتصار السلطان سليم الأول 1512-1520م الممثل للدولة السنية على الدولة الصفوية الشيعية في معركة جالديران وضم العراق فتح المجال امامه للتوسع نحو البلاد العربية.

- لقد خضع المشرق العربي منذ القرن العاشر هجري (16م) للخلافة العثمانية، وبرز خلال هذا العهد العديد من الحواضر العلمية والثقافية، في مقدمتها مدينة القاهرة بمصر ومكة.

- يعتبر الجامع الأزهر بالقاهرة منارة علمية ومركز استقطاب لطلبة العلم في العالم الإسلامي، فقد احتل الصدارة في مصر بل وفي العالم الإسلامي.

- بعد أن ضمت الدولة العثمانية مصر إلى حكمها توسعت في بلاد الشام والحجاز واليمن.

- ان الدولة العثمانية شهدت ركودا في النشاط العلمي والثقافي ،وهذا لظروف وأسباب واضحة، إذ يمكننا القول انها دولة عسكرية انشغلت بالتوسع والحروب في أوج قوتها وانشغلت بالقضاء على الثورات والتمردات الداخلية أواخر عهدها.

محور 2: محاضرة 2: التوسع في بلاد المغرب العربي

1. إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

إن حكم العثمانيين الجزائر الذي دام ثلاثة قرون ومر بأربعة مراحل يدفعنا للتساؤل بماذا تميز هذا الحكم وكيف كانت علاقة الحكام بالمحكومين؟

لم يكن حكم العثمانيين في الجزائر بالسهل فإن كان قد لقي ترحابا في بعض المناطق كما يرى حمدان خوجة "...أن سكان الجزائر عندما راو القائد المسلم جاء لنجدة المسلمين ولمنع الإسبانيين أن يقتلوهم لهذا استقبلوهم بالحماس والعرفان .." فإنه في مناطق أخرى قوبل بالرفض وإن كانت قد خضعت فليس بمحض إرادتها بل بالقوة العسكرية وكي تكون الصورة واضحة فإن العلاقة بين الحكام والرعية هي علاقة مصالح لا أكثر هذا لسبب واحد فقط وهو احتكار العثمانيين للحكم والجيش دون سواهم والرابط بينهم وبين الرعية هم الشيوخ والمرابطين هؤلاء الذين كانت لهم سلطة فعلية على الرعية نظرا للمكانة الت يحضون بها فالسلطة الدينية يمكننا القول عنها هي المفتي ،القاضي المدرس..إلخ إذا فهي القريبة من المواطن في حين كان الحكام بعيدين كل البعد.[1]

لكن على الرغم من أهل البلد لم يكن لهم دور رئيسي في الحكم إل أن العثمانيين تنافسوا على ذلك وكانت نتائج هذا الصراع وخيمة على المجتمع وهنا نتسأل متى كانت بداية هذا الصراع؟ يمكننا القول أن بداية بسط عسكريا السلطة بدأ بعد وفاة "الصالح رايس"* بالطاعون ووقع اختيار الانكشارية بالإجماع على "حسن قورصو"**(1556م-1557م)** دون علم الباب العالي هذا الأخير الذي كان الجميع راضيا على طريقة إدارته الأتراك والأعلاج والمسيحيين إلا أن الصراع بين طائفة الرياس والانكشارية احتدم حين مال البحارة (الرياس) إلى المبعوث العثماني الباشا الجديد) وهو" محمد تكرلي" ومكنوه من الحكم[2] حيث بعد أن استقر هذا الأخير شرع في تصفية أعدائه ومنهم حسن الذي صلب إلى أن مات، وعلي ساردو قائد بجاية الذي مات تحت التعذيب ومصطفى قائد عنابة الذي خوزق وهو في هذه المدينة التي اشتهرت بالقتل التي جاء بها محمد تكليرلي قصد فرض سلطانه.

[1] عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830م)، ط2، دار هومة، الجزائر، 2007، ص82.

لم تكن سياسته حكيمة بل ألبت عليه الانكشارية التي تخوفت أن يطالها هذا المشروع الدموي فسعت إلى تصفيته جسديا وبالفعل تم التخطيط لقتله وذلك بتطوع على كورسكي، كان عبدا الحسن قورصو وقال لهم:" إن هذا الخائن قد قتل سيدي وأنا أتكفل بقتله ولتنفيذ وعده طلب عشرين أو خمسة وعشرين رجلا فكان له ما طلب وتم قتله غدرا أمام جمع غفير من حراسه **(1557م-1567م)** وقد عينت الدولة العثمانية حسن باشا بيلربا جديدا خلفا له لأنه كان مؤهلا لتجاوز أزمة السلطة في الجزائر، لقد كان مدعوما من الرياس القدامى.

لكن الصراع بين الانكشارية والرياس ضل محتدما حيث تمردت الانكشارية من جديد على حسن باشا وقاموا باعتقاله رفقة اثنين من مقربيه وأرسلتهم إلى الباب العالي مقدمة أعذار واهية[1]، لم يقتنع السلطان العثماني بالذرائع التي قدمتها الانكشارية لأن شخصية حسن بن خير الدين تتميز بالكثير من الأخلاق العالية ويحضى باحترام واسع في إسطنبول والجزائر، وكي يسير السلطان الأمور ويحافظ على الاستقرار واسترجاع هيبة الدولة عين أحمد باشا الملقب بالبوسني الأصل وهو من المقربين من السلطان .كانت مهمة هذا الأخير هي تصفية وتطهير الانكشارية وكل من يتسبب في خلق الفوضى السياسية في الجزائر ،حيث قام بحملة إعدامات واسعت في صفوف الانكشارية، وإرسال بعض القيادات إلى إسطنبول لمحاكمتها هناك لكن هذا الأخير كان مصيره مثل سابقيه وكل من يحاول معاداة الانكشارية، حيث تم التخطيط لقتله والتخلص منه في أقرب وقت لأنه سيؤسس لنظام قوي يخضع مباشرة للسلطة المركزية في إسطنبول، وقيل أنه قتل مسموما.[2]

يذكر "هايدو" أن الانكشارية اختاروا "القائد يوسف" خلفا للباشا إلا أن هذا أتى عليه الطاعون بعد ستة أيام فقط فاختاروا قائدا آخر اسمه يحيى وهو قائد مليانة الذي حكم مدة ستة أشهر إلى أن عين السلطان العثماني حسن باشا بن خير الدين للمرة الثانية على رأس الجزائر.[3]

و تعين الدولة العثمانية "لحسن باشا" بايليربايا جديدا خلفا لأنه كان مؤهلا لتجاوز أزمة السلطة في الجزائر لقد كان مدعوما من الرياس خاصة القدامى منهم رفقاء أبيه خير الدين وكان متفتحا على الأهالي

---

[1] المرجع السابق، ص87.

[2] المدني أحمد توفيق: الداي محمد بن عثمان باش داي الجزائر1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، م، و، ك، الجزائر، 1986.

[3] عباد صالح: مرجع سابق، ص87.

فأمه من هؤلاء السكان أكثر من ذلك كان يعرف الجزائر معرفة جيدة ، وقد ساهم حسن بن خير الدين في إخماد تمرد أمير بن عباس وإخضاعهم، كما انتهج سياسة مضادة لكل الدول الأجنبية بما فيها فرنسا التي كانت علاقتها متميزة مع الباب العالي[1]، إلا أن حسن اصطدم بتمرد الانكشارية التي ادعت أنه يريد أن ينفصل عن الدولة العثمانية وأنه متزوج من الأهالي. لكن الحقيقة أن حسن بن خير الدين حاول أن يحد من نفوذ الانكشارية وذلك بإدخال عناصر من الأهالي وهذا قصد فرض الاستقرار والتوازن في المؤسسة العسكرية وللحفاظ على الهدوء وكسب ود القبائل تزوج من ابنة أمير الكوكو. كما زوج قائده حسن من كبيرة بنات أخت زوجته، وأقام بالمناسبة احتفالات كبيرة وسمح للجنود الزواوة بالتجول في المدينة حاملين الأسلحة، وهاته الاستراتيجية التي اتبعها خير الدين لم ترق للانكشارية التي رأت أنها لا تخدمها بقدر ما تضعفها فلجأت إلى عزله وإلقاء القبض عليه رفقة اثنين من مقربيه وأرسلوهم إلى القسطنطينية مكبلين بدعوى ان الباشا يريد أن يسلم السلطة في الجزائر، وترى بعض المصادر أن الباب العالي تقبل هذا الإجراء وعزل حسن بيلرباي للأن الباب العالي كان يهدف إلى توطيد العلاقة مع المغرب.[2]

وتعين حسن باشا للمرة الثانية لأجل استعادة وهران والمرسى من إسبانيا، لكنه فشل في ذلك وبعد وفاة السلطان سليمان القانوني تم استدعاء خير الدين من قبل السلطان سليم الثاني وتعينه على رأس قيادة الأسطول، كما تما تعين محمد باشا بن صالح رايس بيلربايا جديد على الجزائرسنة**1568م**[3]، هذا الأخير الذي لم يدم حكمه سوى سنة، حدثت في أيامه المجاعة الكبرى فاشتغل بتخفيف وطأتها، وأثار التونسيون ضده باي قسنطينة فأخضعها استدعاه السلطان ،وعين مكانه علج علي مارس**1568 م**[4] صرف أكثر اهتمامه إلى توسيع نفوذ الجزائر والدولة العثمانية في الحوض الغربي للمتوسط، فسعى إلى ضم تونس فشن عليها حملة واسعة سنة977هـ /أكتوبر **1569م**، وتمكن من دخولها وإخضاعها في رجب/ديسمبر من نفس السنة، ويعتبر علج علي من أبرز وخيرات حكام الجزائر توفي في 18رجب سنة **995هـ /27/جوان1587م**[5]، استدعي "عراب أحمد" إلى اسطنبول وعين على جزيرة قبرص **1577** مات مقتولا

---

[2] العسلي بسام: خير الدين بربروسة، دار النفائس، ط3، الجزائر، 1986، ص186.

[3] المدني توفيق: مرجع سابق، ص 29.

[4] عباد صالح: مرجع سابق، ص87.

[5] الصلابي: مرجع سابق، ص ص231-232.

في سنة 986هـ/**1578م** على الإنكشارية[1]، وعين مكانه "القائد رمضان" (**1574م-1577م**) المرة الأولى ثم عينه السلطان العثماني "مراد الثالث" سنة **1579**م للمرة الثانية وذلك من أجل للقيام بمهمة مراقبة سلطان المغرب المنصور وذلك لإحباط التقارب المغربي الإسباني باستعمال القوة إن لزم الأمر ذلك للأن ذلك ضد أهدافهم في المغرب وفي حوض البحر الأبيض المتوسط[2]، وبعد أن أدى مهمته في المغرب نقل رمضان باشا إلى طرابلس سنة 991هـ/**1538م**.

جاء بعده "حسن فنزيانو البندقي" **(1577م-1580م)**، نشطت القرصنة في عهده خاصة على سواحل شبه الجزيرة الأيبرية أين كان الرياس يستولون على المسيحيين ويهجرون الفارين من المسلمين الذين كان يقمعهم الاسبان، امتازت سياسته الداخلية بالحزم والصرامة اتجاه الانكشارية ورجال البحر وعامة الناس فخافوه وأحنوا له رؤوسهم ،أما علاقاته الخارجية فكان يحبذ التدخل في المغرب ،كما أنه في عهده فتحت فرنسا أول قنصلية لها سنة**1577**م وهوما كان مرفوضا من قبل من سبقوه، كما قام بحملة بحرية على مايورقة وأليكانت والشواطئ الإسبانية في صيف**1578**م، كما شجع الغزو البحري، غادر الجزائر في شعبان 988هـ/ **1580**م، بعد عريضة شكوى تقدم بها الانكشارية إلى السلطان العثماني ضد حسن فنزيانو تضمنت مساوئ إدارية .[3]

كان رد السلطان أن قبل طلبهم وعين مكانه "جعفر باشا "سنة 1580م، وهو علج هنغاري، تميزت فترة حكمه بإعادة الأمور الداخلية إلى مجاريها، وقضى على مؤامرة حاكها ضده قادة الجند الانكشاري ،أما سياسته الخارجية، فتميزت بتشجيعه للتجارة مع الدول الأوربية، كما اتسمت بميله إلى إقامة علاقات حسن جوار مع حكام المغرب.[4] لكن جعفر باشا لم يدم حكمه طويلا حيث عزله الباب العالي وأرسله إلى بلاد أخرى[5] بعد عريضة الشكوى التي تقدم به الانكشارية، وتضاربت الآراء حول من خلفه رمضان باشا أو الريس مامي أرناؤوط، ويرى توفيق المدني أن الباب العالي عين رمضان باشا للمرة الثانية**(1582م)**،

---

[1] المدني توفيق: مرجع سابق، ص30.

[2] نفسه، ص 30.

[3] بن خروف عمار: مرجع سابق، ص110.

[4] عباد صالح: مرجع سابق، ص 99.

[5] نفسه، ص96.

يقال أنه منع القرصنة هذا القرار لم يعجب الأوجاق التي ترى أنها في حالة حرب مع فرنسا ما لم توقع هدنة أو صلح، فعزلته وعينت مكانه الريس مامي أرناؤوط.[1]

ولما دخلت البلاد في حالة فوضى سياسية حول الحكم وتزعزع الاستقرار عاد حسن فنزيانو من جديد**(1583م-1587م)** وتولى الحكم بدون علم الباب العالي الذي لم يعارض عليه فيما بعد، اهتم هذا الأخير بتنشيط الغزو البحري من جديد على أوسع نطاق في المحيط الأطلسي وبحار غربي أوربا، مما دفع بالباب العالي إلى ترقيته لمنصب قبطان باشا للأسطول العثماني **1586.**[2]

وما يمكننا أن نستخلصه في هذه الفترة أنه على الرغم من التنافس والصراع الموجود بين البيلربايات حول من يحكم الجزائر ومن يستمر في الحكم إلا أنهم كلهم يمتازون بالشجاعة وحسن التدبير، واختيار الباب العالي لهم لم يكن اعتباطا أو محاباتا بل لكفاءاتهم ومجهوداتهم في الجهاد البحري في حوض البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهادي، ومشاركتهم في الكثير من الحروب وذلك ما أكسبهم الخبرة والشهرة في آن واحد.[3]

وأنه رغم وجود الأوجاق المشكلين من الانكشارية، إلا أن الحكم كان بيد طائفة الرياس اللذين لم يكونوا يعملون لحسابهم الخاص، ولم يكونوا يسعون لمعارضة الشخص الذي يقلده السلطان لحكم آيالة الجزائر.[4]

---

[1] المدني توفيق، مرجع سابق، ص31.

[2] نفسه، ص 32.

[3] عباد صالح: مرجع سابق، ص 100.

[4] وليام شالر: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م) تق وتح: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

محور2: تابع محاضرة 2: التوسع في بلاد المغرب العربي

1. أطوار نظام الحكم:

إن الدارس للتاريخ السياسي لدويلات المغرب العربي الكبير يكتشف أن النظام السياسي القائم يختلف عن بعضه البعض فإذا كان النظام القائم في تونس أسريا (الأسرة الحسينية, ليبيا الأسرة القرملية، المغرب الأسرة العلوية فإن النظام القائم في الجزائر يختلف اختلافا جذريا عن باقي الأنظمة، يمكن أن يطلق على هذا النظام نظام الجمهورية العسكرية[1]، كما قال "وليم شالر" القنصل الأمريكي(**1816-1824**م)، أما "وليم سبنسر" فيصفها " دولة المدينة بالمعنى الدقيق مجهزة بمؤسسة حكم محدودة بشكل واضح وأحتفظ بها عن جماهير الشعب ...حجر الزاوية في الإدارة العثمانية بمدينة الجزائر هو الأوجاق والتشكيلة الانكشارية الموظفة من أماكن أخرى في الإمبراطورية...إنهم ينتسبون لمجموعة حاكمة لها مصلحة المراقبة في الحكومة الجزائرية...وبالمعنى السياسي فقد كانت الدولة بمثابة ملكهم الشخصي....".[2]

في حين يرى "توفيق المدني" "...أن القطر الجزائري بعدما توحدت إدارته وظهرت قوته العسكرية في البر والبحر قد أصبح رغم علاقته الاسمية بالباب العالي دولة واسعة الاستقلال تقبل الممثلين السياسيين وتمضي المعاهدات وتعلن الحروب وتعلن الصلح تتفاوض بصفة رسمية مع كل الدول "[3] وما يجب ملاحظته والتدقيق بعناية أن الجزائر العثمانية مرت بمراحل مهمة في تكوينها ففي البداية كانت ولاية تركية مثل بقية الولايات الموجودة في آسيا وأوربا وكانت مدينة الجزائر مركزا لما يسمى البيلرباي، والذي كان يتمتع بالسلطة على الجزائر وتونس وطرابلس، وقد كان البيلرباي شخصية مهمة في البلاط العثماني في القرن**16**م وكانت الجزائر وفية في ولائها للسلطان, حيث أنها لم تقم قط بثورة ضد الأتراك، وتعليل ذلك أن هذه الفترة كانت عهد جهاد وتضحية، ولكنه في القرن**17**م في عهد الباشاوات والأغوات أخذت الجزائر تدريجيا تقدر مصالحها وتضعها في المكان الأول قبل مصالح إسطنبول... وقد كانت هذه الحقيقة هي التي تمثل أقوى حجة في القول بأن الجزائر كانت دولة مستقلة قبل **1830م.**[4]

---

[2] وليام سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادية، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1980، ص53.

[3] توفيق المدني: مرجع سابق، ص38.

[4] عائشة غطاس: مرجع سابق، ص44.

وبعد عرضنا لرؤية هؤلاء المؤرخين نطرح عدة تساؤلات مهمة، أولا: لماذا تميزت الجزائر عن غيرها من دويلات المغرب في نظام الحكم؟ ثانيا: ماهي دواعي تغير نظام الحكم في الجزائر من فترة لأخرى؟ ثالثا: ما هي إنجازات ومميزات كل فترة؟

أ-عصر البيلربايات(1518-1587م):

يمثل هذا العصر بداية التأسيس للتواجد العثماني بالجزائر والقوة الممثلة للباب العالي في شمال إفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط، حيث امتدت سلطت البيلربايات إلى باشاوات تونس وطرابلس، وكانوا يتصرفون باستقلالية ويتمتعون بثراء كبير.[1]

وفي هذه الفترة انتعشت البلاد وقد ساهم في هذا التطور والاستقرار مهاجرو الأندلس الذين وظفوا خبراتهم ومهارتهم في ترقية المهن والبناء العمراني وتقوية الاقتصاد الجزائري[2]، وشهدت العاصمة بصفة خاصة حركة عمرانية كبيرة بالإضافة إلى بناء الحصون والمدارس والقصور والحمامات ومستشفيات للمرضى وقلاع ضخمة لا تزال آثارها شاهدة على أصحابها إلى اليوم[3]، كما أن الهدف كان سياسيا وهو فكرة مقاومة الاحتلال الإسباني سواء على الأرض الجزائرية أو في البحر الأبيض المتوسط وظهر فيها تعاون وتفاهم رائع بين مقر الخلافة إسطنبول والجزائر المنظمة حديثا لحضيرة الدولة العثمانية ذ جمع الطرفين فكرة الواحدة الجهادية لمواجهة التوسعات الاستعمارية للقرن**16** م فالمصالح مشتركة بين الطرفين والعدو واحد.[4]

ومن **مميزات** هاته **الفترة** :

-إلحاق مدينة تلمسان بالجزائر العثمانية وترسيم الحدود مع سلطان المغرب **1553**م

-إلحاق قسنطينة بجاية وهران إثناء ولاية صالح رايس(**1552-1556**م)

---

[1] عمار بوحوش: تاريخ الجزائر السياسي من البداية إلى غاية 1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص54.

[2] صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقين إلى خروج الفرنسين، دار العلوم، ط1، 2003، ص89.

[3] عائشة غطاس: مرجع سابق، ص44.

[4] عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص94.

-تقسيم الجزائر إلى أربع أقاليم سميت بباليكات وعلى رأس كل باليك حاكم يسمى باي.[1]

-تحرير تونس من الإسبان سنة **1569**على يد علج علي في المرة الأولى ثم التحرير الثاني سنة **1574م.**[2]

- مشاركة الجزائر إلى جانب الدولة العثمانية في معركة ليبانت.

- كان معظم ولاة هذا العهد أقوياء أثبتوا جدارتهم في الداخل والخارج وأتاح لهم مركزهم الممتاز أن يمدوا سيطرتهم حتى تونس وطرابلس ويتحكموا في تسيرها والوصاية عليها[3]فهم اللذين بحكم لقبهم بيلرباي يعينون باشاوات تونس وطرابلس نيابة عن الدولة العثمانية وكذا من يخلفهم بالجزائر عندما ينتقل أحدهم ،وكان أغلبهم من طائفة الرياس البحريين من رفاق خير الدين نفسه ،وكانت صلاتهم بالسلطان قوية ويتولون تنفيذ أوامره وتعليماته بحذافيرها دون معارضة ،كما أنهم كانوا يقودون الجيوش والأساطيل البحرية بأنفسهم، دورهم الجهادي هذا دفع السكان للالتفاف حولهم، كما أن الباب العالي نقل عددا منهم إلى الاستبانة ليتولوا منصب باشا أو وزارة البحرية بسبب كفاءتهم في قيادة الأساطيل البحرية مثل خير الدين وابنه حسن باشا والعلج علي[4].

ب-عصر الباشوات: 1587-1689م

تعتبر هذه الفترة مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر وذلك لأن السلطان العثماني أراد أن يخفف حدة النزاع بين الرياس والأوجاق والسبب الأخر في هذا التغير هو تخوفات وشكوك الباب العالي في نية البيلربايات، هذه الشكوك جعلت من رجال الدولة العثمانية يرون أن جمع السلطة في الولايات الثلاث: الجزائر تونس طرابلس تحت حكم رجل واحد قد يشكل خطرا على الإمبراطورية العثمانية لذا تقرر تقسيم الحكم بفصل الولايات عن بعضها البعض وإسناد إدارة كل ولاية إلى باشا يعين لمدة ثلاث سنوات، وكان من شأن هذا النظام إضعاف سلطة حكام الجزائر وإحكام الدولة العثمانية سيطرتها على البلاد ومنع حدوث التمرد ضدها، لتكون الجزائر أكثر ارتباطا بها.

---

[1] صالح عباد: مرجع سابق، ص ص 94، 95.

[2] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطى،ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1992، ص265.

[4] آرزقي شويتام: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، رسالة دكتورة دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، 2006، ص25.

كما قلصت الامتيازات التي كانت ممنوحة سابقا للبيلربايات، وحصرت مهمتهم في جمع الضرائب والمحافظة على الأمن ، وهنا نتسأل هل تحققت هاته الأهداف؟

الحقيقة إن هؤلاء البشوات المعينون لمدة قصيرة لم يكونوا مشغولين بتأكيد السلطة للسلطان الأعظم في إسطنبول أو كانوا غير قادرين على ذلك، في حين يرى بعض المؤرخين أن همهم الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال من أجل شراء هذا المنصب عن طريق دفع الرشوة وتقديم الهدايا . فهم لم يكونا شخصيات سياسية أو عسكرية معروفة كما كان الأمر في عهد البيليربايات، بل شخصيات لا هدف لها سوى جمع المال والثروة أما الحكم ومصالح الرعية بالنسبة لهم مسألة ثانوية.[1]

ومن مميزات وإنجازات هاته الفترة:

– إجلاء الأندلسيين من شبه الجزيرة الأيبيرية سنة 1607م الذين لا يقل عددهم عن 300 ألف أندلسي، وقد قام الباشا رضوان بكري باستقبالهم وتوجيههم نحو المدن الجزائرية حيثوا اندمجوا في المجتمع وفي دواليب الحياة الاقتصادية وبسهولة

– حكم في هذه الفترة ما يقارب **72** باشا أغلبهم من العنصر التركي العثماني.[2]

– أثارت سياستهم في الحكم سخط العامة والعلماء الذين كانوا يحذرونهم من عواقب هاته السياسة ويقدمون لهم النصح.

– تراجع دور وأهداف الإنكشارية حيث أصبحت مصدر قلق "تعيش وسط بيئة غير راضية عليه ، وأصبح القتل والسلب مصدر عيشها.[3]

– بروز قوة " الرياس " رجال البحرية الجزائرية لدرجة أن دول أوربا أصبحت تخشى الجزائر وتسعى لإقامة علاقات تعاون معها.

– حصل في هذه الفترة تصادم وتنافر بين الرياس وبين (اليولداش) وخاصة أن الرياس كانوا يحصلون على غنائم كبيرة من جراء غاراتهم البحرية الناجحة على أساطيل القوات الأوربية.[1]

---

[1] فركوس صالح: مرجع سابق، ص 89.

[2] غطاس عائشة: مرجع سابق، ص49.

[3] بوحوش عمار: مرجع سابق، ص58.

– تمرد الانكشارية سنة **1595** م ضد خضر باشا الذي حاول أن يحد من سلطتهم حملة مصطفى كوسة على وهران **1606م**.

– تعرض الحكام الباشاوات لهزات عنيفة بسب التمردات والانتفاضات هنا وهناك كتمرد ملك كوكو سنة **1583**م، تمرد الكراغلة **1639**م، ثورات القبائل **1643** م مما أثر سلبا على الجوانب الاجتماعية.

– هيمنة الأوجاق وتجريدهم لصلاحيات الباشا تدريجيا حتى نزعت منه مهمة دفع الأجور التي منحة لطائفة الرياس في هذه الفترة وهو "علي بتشين"، وقد خشي الباب العالي من توسع سلطة هذا الأخير فأرسل له من يقتله.

– فشل الحملة الإسبانية على مدينة الجزائر في أوت **1601م**.

– توتر العلاقات الفرنسية الجزائرية بسبب تخريب الباستيون، وقد اضطرت فرنسا إلى التفاوض وإبرام معاهدة بتاريخ**19-09-1628**م.

– الحملة الإنجليزية على مدينة الجزائر سنة **1653**م.

– توتر العلاقات بين الجزائر وتونس بسبب تدخلات بايات تونس في شؤون الشرق الجزائري وتوقيع معاهدة الصلح سنة 1628م.

– توتر العلاقة مع الباب العالي هذا الأخير الذي أراد أن يفرض على الأوجاق في الجزائر رؤيته للسياسة الخارجية حسب مصالحه، دون مراعاة للمصالح الجزائرية، وهو الشيء الذي لم يرق لأوجاق الجزائر.

وعلى الرغم من توتر العلاقة بين الجزائر والباب العالي إلا أن الجزائر قدمت مساعدة للدولة العثمانية في حربها ضد البنادقة سنة **1639** م، حيث تحرك الأسطول الجزائري تحت قيادة علي بتشين.

وما يمكننا أن نستنتجه في الأخير أن انحراف البشاوات على النهج والأهداف التي جاء بها البيلربات وانشغالهم بالمال والنفوذ وتسلطهم وإهمالهم للعامة كان سببا في فقدان الثقة وتعفن الوضع الداخلي وتأزم الوضع الخارجي خاصة مع السلطة المركزية كانت كلها أسباب مقنعة وفرصة سانحة لقلب نظام الحكم،

---

[1] غطاس عائشة: مرجع سابق، ص50.

فكانت ثورة الأغوات التي كانت فصلا آخر من فصول تطور النظام السياسي في الجزائر حلال الفترة العثمانية، فهل كان هذا العصر مثل سابقيه أم أنه كان مميزا؟

جـ -عصر الأغوات: 1659-1671م:

يعتبر هذا العصر من أعنف العصور لإقدام الجيش البري اليولداش على خلع الباشا وتعويضه بقائد آخر من فئتهم هو الآغا، وفي الحقيقة أن هذا الانقلاب في الحقيقة قد جاء بمثابة انقلاب على الباشا المعين من طرف الإمبراطورية العثمانية والمدعوم من طرف فئة " الرياس " ولكي لا يستأثر " الآغا " بالسلطة فقد تقرر أن يكون الحكم ديمقراطيا أي يستعين الحاكم بالديوان العالي الذي كان يضم في البداية أعضاء الفرق العسكرية البرية ثم توسعت العضوية فيه بحيث أصبح يضم ممثلين عن فئة الرياس وقيدوها بتنفيذ " مقررات الديوان ومجلس الحكومة لا غير وهو في ذلك يشبه نظام مجلس الحكم الجمهوري أو هو على غرار ما تفعله اليوم أحزاب الحكومات الاشتراكية في تعيينها لرؤسائها.

مميزات وأحداث هذا العصر:

- أزداد فيه الوضع سوء أكثر من ذي قبل فمن اهتزاز نظام الحكم إلى الاغتيالات وكثرت المؤامرات فكان معظم الأغوات لا يموتون موتة طبيعية، كما أن طائفة الرياس كانت تغذي إثارة الاضطراب والقلاقل ولم تعد تقدم أي دعم اقتصادي لطبقة الانكشارية الحاكمة لأنها كانت تهدف إلى استرجاع السلطة والحكم الذي انتزع منها.

- اضمحلال نفوذ السلطان العثماني وغياب السيادة العثمانية في الجزائر.

- الحملة الفرنسية الفاشلة على جيجل سنة **1664** م والتي انهزم فيها الفرنسيون.

- غارات إنجليزية على السواحل الجزائرية بين سنة **1669-1671**م.

- أما السمة البارزة التي ميزت ما يسمى بعهد الجمهورية العسكرية هي عدم استقرار وتوالي اغتيال الحكام إذ لم ينجح حاكم واحد من النهاية الدموية.

وهكذا يمكننا القول أن نظام الحكم في الجزائر تطور من مرحلة لأخرى وتميز عن بعضه البعض في الأفكار والأهداف، فإذا كان نظام البيلربايات أهدافه سامية وواضحة وهويربط وإلحاق دويلات المغرب بالخلافة العثمانية قصد تقوية شوكة المسلمين وحماية الثغور من الحملات الصليبية المتزايدة هنا وهناك،

فإن عصر الباشاوات تتميز ببروز فيه الصراع داخل زمرة الحكم والتي ترغب بالاستئثار بنظام الحكم مما دفع بالباب العالي إلى إجراء تعديل في نظام الحكم قصد كبح جماح وطموح كل من يريد الانفصال عن الدولة العثمانية، خاصة وأن المسافة بعيدة بين إسطنبول والجزائر.

كما أن نتائج نظام الباشوات كانت وخيمة على البلاد والعباد، إذ تسببت في شيوع الفوضى والاضطرابات وفتح الباب للنزاع بين الباشا(ممثل السلطان الذي لم يكن له دراية بشؤون البلاد) والأوجاق والبحارة وأقنع هؤلاء بضرورة التخلص من الباشا، فكان لابد من نظام جديد يحافظ على قوة واستمرارية الدولة، فكان نظام الأغوات، الذي كان مصيره كسابقيه ربما لتشابه الظروف أو بالأحرى ازدياد حدتها بحيث تقوى واشتد الصراع داخل الجيش بين الرياس واليولداش وهذا ما سنتكلم عليه لاحقا.

محور2: محاضرة 2: التوسع في بلاد المغرب العربي

1. إلحاق تونس بالدولة العثمانية:

بعد إن استتب الأمر للأمراء العثمانيين في الجزائر تطورت الفكرة لديهم من التأسيس لحكم في الجزائر إلى الدفاع عن باقي الأراضي الإسلامية وضمها تحت راية الدولة العثمانية وبدا تحرير تونس من الإسبان سنة1569على يد علج علي في المرة الأولى ثم التحرير الثاني سنة 1574م[1]، لكن الإسبان لم يتوقفوا عن الحملات والتحرشات على تونس مدة من الزمن وهذا ما يدفعنا الى التساؤل، ماهي الأوضاع في تونس هذه الفترة، كيف استطاع الإخوة بربروس ضم تونس إلى الدولة العثمانية ، مهاي اطوار نظام الحكم في تونس؟

الحملة الإسبانية على تونس

نجح العثمانيون في ضم تونس بالقوة سنة 1547 ،بعد محاولات عسكرية عثمانية متكررة بسبب التحالف الحفصي الإسباني.

قاد شارل الخامس عملية بحرية صليبية شاقة تكونت من **ثلاثين ألف مقاتل** إسباني وهولندي وألماني ونابولي وصقلي، على ظهر **خمسمائة سفينة**، وأبحر من ميناء برشلونة يوم **31 ماي 1535 م**، وعندما رست سفنه أمام تونس يوم **16 جوان 1535م** قامت المعارك العنيفة بين الطرفين، الأمر الذي أعاد السيطرة الاسبانية على تونس وأبحر من ميناء برشلونة يوم **31 ماي 1535 م**، وعندما رست سفنه أمام تونس يوم **16 جوان 1535م** قامت المعارك العنيفة بين الطرفين، الأمر الذي أعاد السيطرة الاسبانية على تونس في 942هـ/**1535م**، إذ لم تكن قوة خير الدين بكافية للرد على ذلك الهجوم، فكان الجيش الإسلامي تعداده **سبعة آلاف جندي عثماني** وصلوا مع خير الدين ونحو **خمسة آلاف تونسي**، كما تخلف الأعراب عن الجهاد فكانت النتيجة الحتمية أن استولى شارل على معقل حلق الوادي مرسى تونس ثم تقدم إلى تونس الذي عجل بانهيارها سبب مباشر هو انتفاضة **عشرة آلاف أسير نصراني** محبوسون في العاصمة الحفصية، فعندما خلت المدينة لقتال العدو وجد هؤلاء الأسرى[2]، معقل حلق الوادي مرسى تونس ثم تقدم إلى تونس الذي عجل بانهيارها سبب مباشر **آلاف أسير نصراني** محبوسون

---

[1] صالح عباد: مرجع سابق، ص ص 94، 95.

[2] عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود عامر، ط1، دار النهضة العربية، 1989، ص38.

في العاصمة الحفصية، فعندما خلت المدينة لقتال العدو وجد هؤلاء الأسرى فرصتهم، فنظموا صفوفهم ثم هاجموا معقل القصبة، وتمكنوا منه و من توجيه مدافعه نحو جيش المسلمين الذي وقع بين نارين، و أوصدوا أبواب المدينة ، وأقاموا عليه الحراسة ليمنعوا خير الدين من الرجوع إليها و التحصن بها لمقاومة شارلكان، كان خير الدين يريد إبادة هؤلاء الأسرى قبل خروجه للقتال ، لكن الأهالي منعوه من ذلك، ونصب الإسبان الحسن بن محمد حاكماً عليها، وعملاً بمنطوق المعاهدة كان الحسن بن محمد سيسلم بونه والمهدية إلى شارل الخامس، فاستولى على بونة، وبما أن المهدية كانت في حوزة العثمانيين، فإن الحسن لم يستطع الوفاء بعهده فاشترط الإسبان عليه أن يكون حليفاً ومساعداً لفرسان القديس يوحنا بطرابلس، وأن يقوم بمعاداة العثمانيين وأن يتحمل **نفقات ألفي اسباني** على الأقل يتركون كحامية في قلعة حلق الوادي وعاد شارل الخامس إلى اسبانيا واستقبل استقبال الغزاة الفاتحين في الوقت الذي كان فيه السلطان يحارب فيه الدولة الصفوية الشيعية الرافضية لبلاد فارس.

و نصت هذه المعاهدة المبرمة مع العميل الحسن الحفصي و التي سهرت الحامية العسكرية في حلق الوادي على تطبيق بنودها ، القاسية على تونس على:

1- دخول تونس تحت حماية الإمبراطور و ستبقى كذلك مدة **39 سنة** ، و لولا تأسيس الإيالة على سنان باشا لما تخلصت البلاد من هذه التبعية.

2- إطلاق جميع الأسرى المسيحيين وتعهد الحسن بمنع الجهاد البحري منعا قاطعا ويدفع ضريبة سنوية إلى الإمبراطور.

3- السماح للإسبانيين بالإقامة في جميع أنحاء البلاد مع الترخيص لهم باقتناء الأملاك و بناء الكنائس حيثما شاءوا، و لكي لا يضايقهم الأندلسيون تعهد الحسن بأنه لن يسند إليهم المناصب الحساسة.

4- تسليم حلق الوادي و بنزرت إلى الجيش الإسباني يترك فيهما حامية يمكن للحسن أن يستنجد بها في حالة احتياجه إليها .

5- السماح لأفراد الجيش الإسباني بنهب الأهالي وتقتيلهم مدة ثلاثة (03) أيام متتالية.

و لقد نتج عن تطبيق هذا البند الأخير تذبيح أكثر من ثلث السكان حوالي سبعين ألف، و أسر ثلث ويفتدي من كان يمتلك المال نفسه وبلغت الفدية ألف دينار، هذا بالإضافة إلى نهب الثروات والنفائس وتشريد الثلث الآخر، كما نتج عنه ازدياد سخط الأهالي الذين راحوا يستعدون للثورة.

السيطرة على تونس وضمها إلى الدولة العثمانية:

في العام الأخير من حكم السّلطان سليم الثّاني حظيت المسألة التّونسية باهتمام أكثر جدّيةً. وقد أمر السّلطان سليم الثّاني نفسُه بالسّيطرة على قلعة حلق الوادي التي تخضع لحكم الإسبان منذ سنوات طويلة وذلك لما لها من أهمّية من أجل فتح تونس لأسباب كثيرة عارض الوزير المقتدر صوقولّلو محمد باشا الحملة على قبرص، لكن بأمر من السلطان سليم الثّاني تم تنفيذ هذه الحملة، وإخراج البنادقة من جزيرة قبرص تأسيس الحكم العثماني في شرق البحر الأبيض المتوسّط. بيد أنه كان من الضروريّ أيضًا بسط الأمن في غرب البحر الأبيض المتوسط من أجل تركيز هيمنة حقيقيّة في البحر الأبيض. كانت تونس تمثّل قاعدةً خطيرة للإسبان ضمن المناطق التّابعة للدّولة العثمانيّة في شمال أفريقيا، ومن أجل عثمَنتها كان لابدّ من كسر قدرات الإسبانيّين الذين يعدّون المنافسين الحقيقيين للعثمانيين طوال قرن تقريبًا. وفي حالة الاستيلاء على كامل البلاد التّونسيّة فإن مجال الحكم التّركي في شمال أفريقيا يُصبح في شكل شريط متّصل ومترابط ترابطًا كاملاً.

في شتاء عام **1574م** جرت كافة الاستعدادات في سبيل فتح حلق الوادي. وقد ورد في الحكم الصّادر عن الدّيوان الهمايوني والموجه إلى كلّ من حيدر باشا بكلارباي تونس ورمضان باشا بكلارباي الجزائر والمؤرخ بتاريخ 15 ذي الحجة 981 **8/9) أفريل سنة 1574م** (أنّه من أجل فتح حلق الوادي سوف ينطلق من اسطنبول في الأول من محرم سنة 982 **23) ماي سنة 1574م** (اسطول مكون من 300 قطعة، وتم الاستفسار من باي تونس والجزائر عن أيّ المناطق أنسب للمحاصرة تونس أم بنزرت. بالإضافة إلى ذلك، فقط طلب منهما الدّخول في تعاون مع كلّ من مصطفى باشا بكلارباي طرابلس، وأحمد باشا بكلارباي الجزائر من أجل إيلاء الأهمّية اللازمة لفتح تونس، وأمر بتجهيز جميع المعدّات الضّرورية بكميات وافرة لاستخدامها في عمليّة حصار القلعة دون إضاعة الوقت

اختار السّلطان سليم الثّاني الوزير قوجا سنان باشا المشهور بفاتح اليمن على رأس القوات البرية، وأمير البحر قلج علي باشا على قيادة القوات البحريّة. بعد زيارة تربة بربروس، تحركت هذه القوات من اسطنبول بتاريخ 23 ماي، ووصلت إلى "يَدِي كُولَهْ"، ومكثت فيها ليوم واحد، وهناك تمّت معاينة جهوزيّتها. كان هذا الأسطول المخصص لفتح حلق الوادي أقوى الأساطيل البحريّة لدى الدّولة العثمانيّة على الإطلاق. وقد شاركت في هذه الحملة جيوش الأناضول وقَرمان ومَرْعَش.

تحرك الأسطول من" **يَدِي كُولَه**"، وأمضى في" **كاليبولي** "ليلة واحدةً .وبعد تشحيم السفن في "سَاقِزْ" و" **تْشَشْمَه**" و" **قِزِلْ حِصَار** "تم تعيين 15 سفينة وعدد من العساكر بأمر من أمير البحر لبث الخوف في المناطق التي يتمركز فيها العدو، وعند الوصول إلى ميناء"**تَافَارِين** "أجريت مشاورات ومحادثات للتّخطيط للخطوات التي سيتم اتباعها. وعندما وصل الأسطول إلى" **ميناء إنْجِير** "التابع لإحدى البلدات المسلمة خيّم هناك واضطر للانتظار عدّة أيام بسبب رداءة الجو، في هذه الأثناء تمّ إجراء الصّيانة اللازمة للسّفن، وتمكن الجنود من أخذ قسطٍ من الرّاحة، وبعد أن هدأ الجوّ انطلق الاسطول من جديد، ووصل إلى جزر" **ميسينَا** " التّابعة للحكم الإسباني إثر سبعة أو ثمانية أيام من السّير، وألحق بالعدو خسائر فادحةً.

بتاريخ 10 ربيع الأول **30 جوان** وصل الأسطول الهمايوني إلى" **كَلاَفْرِيَا** "وضرب هذه النّواحي، ثم وصل بعد يومين إلى" **سَاراقُسْتا** ."وانطلاقا من هنا توجه الأسطول رأسًا إلى منطقة يُقال لها" **خليج قليبية** "وهنا تمّت مراجعة الاستعدادات للحرب مرة أخرى.

بتاريخ الثلاثاء 24 ربيع الأول سنة 982 هـ **14 جويلية سنة 1574م** وصل الجنود العثمانيّون إلى محيط قلعة "حلق الوادي"، ونصبوا خيامهم هناك، ثم وجهوا مدافعهم صوب الأسوار. وكلف الوزير سنان باشا كلاّ من حيدر باشا بكلارباي تونس ومصطفى باشا بكلارباي طرابلس الغرب بتنفيذ الحصار بمساعدة من الجيش الانكشاري ومتطوّعين من مصرأمّا أمير البحر قليج علي باشا فقد ركّز اهتمامه على المنافذ البحرية، بعث سنان باشا مرّتين برسولٍ إلى العدو يقترح عليه حل المشكل سلميا إلا أنّه تعنّت ورفض مقترحه تمكن الجنود العثمانيّون من السيطرة على "قلعة الماء su kulesi "وهي تبعد نحو مِيلَيْن إلى ثلاثة أميال، ومنها تمّ تأمين المياه اللازمة للجنود أثناء تنفيذ الحصار.

كانت المناطق المجاورة لحلق الوادي قد أحيطت بخندقٍ ملئ ماءً وكان لابد من ردم الخندق من أجل الوصول إلى الأسوار. ولهذا السّبب عمد الأتراك العثمانيّون إلى الإلقاء بكلّ ما يصادفونه في طريقهم في هذا الخندق. وبعد حرب استمرت لمدّة ثلاثة وأربعين يوماً بليلها ونهارها تمكن العثمانيّون بتاريخ 6 جمادى الأولى سنة 982 هـ **24أوت سنة 1574م** من اقتحام الأسوار والاستيلاء على القلعة.

عندما كان الإسبان يشيّدون أسوار حلق الوادي كانوا يدركون جيّدًا أنّ الاستيلاء عليها يعني التّحكم في مقادير جميع مناطق شمال أفريقيا، ولهذا السّبب فإن الإبقاء عليها على حالها يحمل في طيّاته، بلا شكّ، مخاطر جمّةً. وتبعا لذلك فإنّ العثمانيّين قرروا تخريب هذه القلعة تحسّبًا لأيّ خسارة لها وعودتها

إلى يد العدوّ مرّة أخرى، قام الجنود العثمانيّون بوضع ألغام في 36 موقعًا، ثم فجّروها وأشعروا فيها النّيران بعد أن سحبوا الجنود وأبعدوا البواخر عن السّواحل. تم أسر محمد الحفصي من العائلة الحفصيّة، وكسب مغانم كثيرة، كما تم ضرب أعناق 5000 من العدو، وأسر 2000 منهم، وبالمقابل استشهد عدد كبير من العساكر والقوّاد العثمانيّين. وبالنسبة إلى المدافع التي وقع اغتنامها وعددها 205 مدافع فقد حُمّلت في بواخر ونُقلت إلى اسطنبول.

بعد فتح حلق الوادي سار السّردار والقَبطان رفقة الأسطول الهمايوني نحو قلاع" **الباستيون** "السّتة التي أنشأها الإسبان على مقربة من مدينة تونس. وبتاريخ 27 جمادى الأولى **15 سبتمبر** تم الاستلاء على الباستيون، وقد وُجد داخله نحو 200 رجل، وبتخريب الباستيون لم يبق للإسبان مكانٌ يلوذون به. وبالسّيطرة على هذا الموقع اكتمل فتح تونس، وقد جاء ذكرها في مؤلفات عالي وبتشوي باسم" **بحيرة حلق الوادي** "و" **معقل حلق الوادي**"، كما تحدثا عن فتح استحكامات صغيرة الحجم بداخلها نحو 100 شخص.

بعد ضمّ تونس بشكل نهائي إلى الدّولة العثمانيّة ترك سنان باشا نحو 4000 من الانكشارية في تونس قبل أن يقفل عائدًا إلى اسطنبول. وتم تعيين حيدر باشا أول بكلارباي لتونس، في حين تم تكليف رمضان باشا بإدارة الشؤون الماليّة وجمع الضّرائب. ومن جابب آخر عَيّن سنان باشا أحد القضاة في تونس لتطبيق الأحكام الشرعيّة فيها .عاد كلّ من سنان باشا وأمير البحر قليج علي باشا رفقة الأسطول الهمايوني إلى اسطنبول، ولم يفرضا أيّة ضرائب على تونس لفائدة الدّولة العثمانيّة وحصل كلّ من السّردار والقبطان على جوائز كبيرة من جانب السّلطان تقديرًا لما أحرزاه من نصر وما أبدياه من شجاعة في قيادة الجيش والأسطول. وانطلاقا من هذا التّاريخ أصبحت تونس ولاية عثمانيّة شأنها شأن الجزائر وطرابلس الغرب, وتواصل هذا الوضع حتى الاحتلال الفرنسي عام 1881م.[1]

من خلال ما سبق نستنتج مايلي:

- ان إسبانيا كانت تريد إبقاء شمال إفريقيا تحت نفوذها وذالك بتمكين احد الأمراء الحفصين تحت إمرتها.
- ان شارل الخامس قاد حملة سكرية على تونس من اجل السيطرة عليها وقطع الطريق على البحارة

[1] عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة: محمود عامر، ط1، دار النهضة العربية، 1989، ص ص 40-46.

العثمانيين

- ان الجزائر قررت الارتباط بالدولة العثمانية بناء على طلب من امراءها وسكان البد من اجل وقف الزحف الإسباني
- ان نظام الجزائر مر بأربع مراحل متميزة
- ان الجزائر اصبحت قوة بحرية في حوض المتوسط تهدد القوى الأوربية
- ان الحكام العثمانيين في الجزائر قرروا دحر الإسبان وضم تونس على الدولة العثمانية
- أن الأمراء الحفصين تحالفوا مع الإسبان ضد السكان مقابل البقاء فالسلطة ومناهضة العثمانيين
- ان السلطان سليم كان مهتما بضرورة ضم تونس وقطع الطريق امام الزحف الإسباني.

محور2: محاضرة 2: التوسع في بلاد المغرب العربي

1. العلاقات العثمانية المغربية:

إن الحديث عن علاقات الدولة العثمانية بسلاطين المغرب يقصد به العلاقة على الحدود بين الجزائر والمغرب وما شهدته من هدوء تارة وحرب تارة اخرى ،ويمكننا تلخيص اسباب عدم استقرار والحرب هو الاختلاف الواضح بين توجهات الدولة العثمانية التي ترى انها سلطة فعلية وتمثل الخلافة الإسلامية ولابد من إخضاع كامل البلاد العربية تحت رايتها بما فيها المغرب ،في حين يرى سلاطين المغرب ان أمير المؤمنين يجب ان يكون عربيا ومن اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا الشرط يتمتع به سلاطين المغرب خاصة سلاطين الأسرة العلوية التي يمتد نسبها على سيدنا على رضي الله عنه.

إن وجود الحكم العثماني في الجزائر مغاير للبنية البشرية العميقة للسكان وللبنية السياسية، ولاختلافه حتى في المذهب الديني والمطامح والأهداف، انتصب في الحقيقة سدا عاليا أمام حكام المغرب ،قطع عليهم طريقهم إلى الشرق القريب والمشرق البعيد .

ومع كل قوة هذا الحاج، فإن السعديين لم يهابوه ،بل عملوا على اختراقه عدة مرات بالعنف وشجعهم على دالك قوتهم العسكرية المتنامية وانعدام الحدود الطبيعية العائقة بين البلدين والروابط البشرية والاجتماعية والثقافية بينهم ،إلا أنهم أخفقوا وأنتهى بهم الأمر إلى الانزواء في الزاوية الشمالية الغربية من إفريقيا ،والتلع في صلاتهم مع العالم حولها أكثر فأكثر إلى العالم الأوربي المجاور لهم من الشمال والغرب.

حاول منصور السعدي أن يقطع على الحكم العثماني طرق التجارة مع الجنوب ويحولها لصالحه إلا أن هذا لم يدم ولم يخرج المغرب من عزلته السياسية عن الشرق المغربي والمشرق عموما، تلك العزلة التي زادت تشبث المغرب باستقلاله.[1]

توتر العلاقة بين الدولة العثمانية وسلاطين المغرب:

بدا اول توتر في العلاقة بين العثمانيين والمغرب على عهد مولاي الشريف بد بسط سلته على مدينة وجدة الحدودية وبذألك اعتبرت بداية التهديد المغربي لحكام الجزائر، ودارت بين الجانبين مناوشات حدودية طيلة أربعة أعوام ولم يستطع أحدهما هزيمة الآخر، وبادر العثمانيون انطلاقا من الرابطة الدينية، والارتكاز عليها، بإيفاد لجنة من العلماء للمفاوضة بشأن تهدئة الأحوال وتحديد مناطق النفوذ لأعاده الاستقرار والتواصل البشري والتجاري، وجعل وادي تافنة حد فاصلا "بين الجزائر والمغرب وعقد «معاهدة

[1] بن خروف عمار: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب في القرن السادس 16م، دار الأمل للطباعة والنشر، ص ص 183-184.

تافنا» عام 1654 حيث هدأت الأمور واستقرت نسبيا.[1]

عهد مولاي إسماعيل:

مولاي إسماعيل (1672 – 1776) وقد حكم فترة طويلة استطاع خلالها أن يثبت ويقوي السلطة المركزية وأن يحرر العديد من المناطق المحتلة، وبلغ المغرب في عهده درجة كبيرة من الازدهار والقوة حتى أصبح له وزن دولي كبير في غربي البحر المتوسط، فهابته الدول الأوروبية وعقدت معه علاقات سياسية واقتصادية متعددة، وعليه فقد شكل مولاي اسماعيل عقبة كأداء أمام التوسعية العثمانية التي بقيت تتطلع إلى ضم المغرب أو على الأقل إلحاقه بتبعية اسمية للسيادة العثمانية.

كما قلنا ان مولاي إسماعيل رفض الخضوع للسيادة العثمانية وحتى الاعتراف بالسلطة الروحية، هذا الموقف الثابت جعله يفكر مليا فالاحتياط من الهجوم العثماني المتمثل في إيالة الجزائر، قادته إلى اتخاذ موقف الدفاع والاستعداد لصد أي محاولة توسعية عثمانية إلى داخل المغرب، فعمل على انشاء حاميات متقدمة ثابتة في المراكز الاستراتيجية الهامة قرب الجزائر، وأنشأ العديد من الحصون لتكون حاجزا دفاعي أمام الهجمات العثمانية من الجزائر

من هذا المنطلق الديني والقومي جاءت المحاولات التالية لمولاي اسماعيل بالهجوم علي الجزائر، ومحاولة التعاون مع بايات تونس لوضع النفوذ العثماني في الجزائر بين طرفي كماشة. ففي عام 1691 وجه مولاي اسماعيل حملة عسكرية ضد مدينة وهران الجزائرية من عشرة آلاف مقاتل من المشاة وثلاثة آلاف فارس، للاستيلاء عليها، فاعترضته الحامية العثمانية، وباغتته القوات العثمانية بمدفعيتها المتطورة بوادي ملوية، فتراجع بقواته بعد خسائر جسيمة في الأفراد، وتم ابرام « معاهدة وجدة » التي أبقت مناطق النفوذ على حالها بين الطرفين ودون تطمين لتطلعاتهما أحدهما تجاه الآخر.[2]

وحاول مولاي اسماعيل عام 1692، وبالاتفاق مع باي تونس المعادي لحكام الجزائر العثمانيين والذي لم يكن على علاقة ودية مع السلطان العثماني، محاصرة الوجود العثماني في الجزائر . ألا أن عدم التنسيق المنظم بين تحركات قواتهما في الوقت المحدد، قاد إلى قدرة حكام الجزائر على الرد على الهجوم التونسي وإبعاده، ثم التفتوا إلى القوات المغربية وأوقعوا الهزيمة بها، وقد أدى ذلك إلى قيام مولاي اسماعيل بطلب الصلح حيث أرسل وفدا إلى الجزائر برئاسة الفقيه أبي عبد الله محمد الطيب الفاسي لعقد هدنة . ومن

[1] داهش محمد علي: العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث (1650 – 1830)، قسم التاريخ، جامعة الموصل، ص 163.

[2] نفسه، ص ص 165.

الجدير بالإشارة إلى أن بقاء التوتر السياسي والحربي بين الجانبين حتى عام 1697.[1]

استمر التوتر في العلاقات المغربية – العثمانية حتى عام 1708 حيث شهدت بداية طيبة للانفراج انطلاقا من « التضامن الإسلامي» لمواجهة الخطر الأوروبي المشترك. ففي العام 1708، استرد العثمانيون مدينة وهران الجزائرية من الاحتلال الإسباني، وعلى أثر ذلك أرسل مولاي اسماعيل تهنئة إلى السلطان أحمد الثالث لكن سوء التفاهم سرعان ما تجدد وذلك لتمسك السلطان العثماني كأسلافه من سلاطين آل عثمان في أن يعترف لهم سلطان المغرب بالسيادة الأسمية بعد أن أخفقوا بفرض سيادتهم المباشرة، لكن مولاي اسماعيل كأسلافه من العلويين أو السعديين قبلهم، تمسك بلقب «أمير المومنين» ورأى أحقيته من العثمانيين بالزعامة الروحية للمسلمين، اما بالنسبة للمغرب فبعد وفاة السلطان المغربي مولاي اسماعيل عام 1727، ساءت البلاد حالة من الاضطرابات بسبب الصراع بين أبنائه وأحفاده على السلطة.[2]

نستنتج مما سبق مايلي:

- إن توتر العلاقة بين الدولة العثمانية توتر واختلاف عميق من حيث السلطة الشرعية والروحية حول منصب أمير المؤمنين .
- ان الدولة السعدية واجهت الدولة العثمانية في بداية تواجدها في الجزائر ورات فيها خطرا على سلطتها وحدودها.
- ان السلطان مولاي إسماعيل تحالف مع بايات تونس من اجل القضاء على الحكم العثماني في الجزائر لكن خطته باءت بالفشل امام القوة العثمانية .
- ان العلاقات العثمانية المغربية تميزت بالاستقرار أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 لأن الخطر الأوربي اصبح يضر بكلا البلدين .
- ان المغرب بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل شهدت فوضى ولاستقرار داخلي بسبب الصراع الأسري بين الإخوة على الحكم .

وفي الأخير يمكننا القول انه لما كانت الدول الأوربية في بناء وتطوير قوتها العسكرية والصناعية كانت الدولة العثمانية وسلاطين المغرب يخوضون حروب استنزاف داخلية حول الحدود تارة وداخل الأسرة الحاكمة تارة اخرى.

---

[1] نفسه، ص 166.

محور2: المحاضرة3: الإدارة العثمانية في البلاد العربية

تأثرت البلاد العربية بالتطورات السياسية الداخلية والخارجية للدولة العثمانية فكانت منطقة للصراع تارة ومشاركتها إلى جانب الدولة العثمانية في حروبها تارة أخرى ،وتورط الدولة العثمانية بحروبها الخارجية والصراع على الحكم شغلها كثيرا على التطور والنهضة العلمية في أوربا وهذا التخلف ينطبق أيضا على الولايات العربية ،لكن مع مطلع القرن 19م شهدت المنطقة العربية نهضة علمية قادها بعض العلماء والمفكرين ،وهنا نطرح تساؤل مهم ماذا نعني بالنهضة العربية ومن هم روادها وماهي مظاهرها؟

إن النهضة العربية في الواقع وبمضمونها الشمولي ،هي تنبه المجتمع في كل أنحاء العالم الإسلامي والعربي منذ أواخر القرن 18م إلى وجوده في حالة خمول وتخلف وتبعية لا تنسجم مع ماضيه العربي الإسلامي وحضارته الأصيلة وسيادته السابقة، وبالتالي لا تتلاءم مع الإيقاع الحضاري الذي كانت تعيشه أوربا ،ويرى المفكر محمد عابد الجابري أن مشروع النهضة العربية لم ينطلق إلا مع انطلاق حملة نابليون على مصر1798م، ثم امتدت إلى باقي البلاد العربية وعرفت بمسميات أخرى كحركة التنوير العربي أو اليقضة العربية، وقد رفع رواد النهضة شعارات مشابهة لشعارات الثورة الفرنسية التي تنادي بالحرية والمساواة والعدالة ،كما أنهم اخترقوا حاجز العزلة والتقوقع المفروض من قبل العثمانيين واستفادوا من كوامن الحضارة الغربية من علوم وفلسفة عصر الأنوار .

عوامل قيام النهضة العربية:

حاولت الإدارة العثمانية جاهدة مواكبة التطور الحاصل في الغرب فقامت بالعديد من الإصلاحات في الإدارة ،القضاء، التعليم، الاقتصاد وفتح المجال أما الخبرات الأجنبية، أطلقت على هذه الإصلاحات اسم التنظيمات العثمانية ومن أبرز هذه الإصلاحات ما يعرف بخط الشريف سنة 1845 من أهم توصياته تشكيل لجنة لدراسة أوضاع المجتمع والتي كانت أهم قرارتها الإبقاء على التعليم الديني القديم وإنشاء نظام تعليمي جديد موازٍ مع الابتدائية ثم الثانوية ثم الجامعية، وفي نهاية نفس السنة صدر قانون إصلاح التعليم في الدولة ،كما صدر قانون المعارف الذي نص على خلق مدارس حكومية حديثة ابتدائية وإعدادية في أهم المدن الرئيسة في البلاد العربية ،وكان لظهور هذا النوع من المدارس الأثر الإيجابي في بروز طبقة من المثقفين العرب أسعفها الحظ في متابعة دراستها العليا في إسطنبول وبعض العواصم الغربية ،مما أتاح لها الاطلاع على ما توصل إليه الأوربيون في ميدان الحضارة والفكر وبعد عودتها ساهمت في اليقظة العربية الحديثة .

كما أن الدولة العثمانية سهلت للدول الأوربية عن طريق الإرساليات التبشيرية فتح مدارس تنشر لغتها وثقافتها خاصة في القرى والمدن التي يكثر فيها العنصر المسيحي لاسيما في ولايات حلب والموصل وبيروت ومصر والقدس ولبنان، وكانت أولى المدارس التي أنشأتها الإرساليات مرسة عين ورقة في القرن 18 في منطقة دير مار أنطونيوس بلبنان، كانت تدرس اللغة العربية والسريانية واللاتينية والإيطالية وعلم اللاوت وبقية العلوم الأخرى، كما اشتهرت مدرسة عين طورة التي تأسست من قبل المبشرين السوعيين في منطقة كسروان ،وقد استقدم المبشرون الأمريكيون سنة 1834 مطبعتهم العربية من مالطة إلى بيروت وبدأت هذه المطبعة في طباعة الكتب وخاصة الكتب المدرسية المختصرة، ثم اشتهرت في نفس الفترة المطبعة الكاثوليكية.

وهناك عامل مهم جدا وهو تأثر وإعجاب الولاة بالحضارة الغربية مثل محمد علي وابنه إبراهيم باشا هذا الأخير الذي أنشأ المدارس والجامعات في سوريا وأرسل البعثات إلى مصر وإلى أوربا ،كما أن محمد علي اهتم بالعلم والعلماء في مصر وأهم إنجازاته مدرسة الهندسة بالقلعة ،مدرسة الهندسة ببولاق ،مدرسة الطب في أبي زعبل ،مدرسة الألسن في القاهرة، المدارس الابتدائية، كما أنه أرسل البعثات إلى أوربا (إيطاليا، فلورنسا، روما، فرنسا) حوالي تسع بعثات في الفترة ما بين 1826-1847م.

والعامل الأخير والذي نهض بالمجتمع العربي وأحيا فيه الشخصية العربية والإسلامية هو ظهور الجمعيات العلمية والأدبية اشهرها الجمعية العلمية السورية 1847 هدفها نشر مختلف العلوم والفنون دون التعرض إلى القضايا السياسية والدينية ، وابرز أعضاءها :-حسين بيهم- سليم البستاني – إبراهيم اليازجي – محمد أرسلان ، ومن الجمعيات أيضا جمعية العلوم التي أنشأها بطرس البستاني وناصف اليازجي سنة 1848م ،ونذكر أيضا جمعية المقاصد الخيرية التي تأسست سنة 1878م ترأسها عبد القادر القباني ،جمعية أخرى والتي أنشأتها الفتيات المتعلمات جمعية باكورة سورية 1881م، وقد ساهمت هذه الجمعيات في بعث الحياة العلمية والأدبية إلا أن بعض الكتابات أدخلت الأدباء والعلماء في صراع حقيقي حول الهوية العربية الإسلامية خاصة كتابات المستشرقين.

مظاهر النهضة العربية:

كما سبق وذكرنا أن البلاد العربية انفتحت على كل وافد جديد خاصة الفكر الأوربي مما خلق شبه صراع إن صح القول بين التيارات التقليدية والتيار الإصلاحي والتيار التغريبي والكل ينشر أفكاره ويسوق

له بجميع الوسائل المتاحة أنذاك من مدارس وجمعيات ومجلات وجرائد وشخصيات مفكرة سطع نجمها ودخلت قلوب وعقول الناس .

الحركة الإصلاحية : جاءت هذه الحركة كرد فعل على الواقع الثقافي والديني المعاش أنذاك من انحراف المجتمع عن الدين الصحيح (الكتاب والسنة) وانتشار الخرافة والدروشة والبدع في الدين وعملت هذه الحركة على ضرورة :-تنقية الدين الإسلامي من الشوائب والتحريفات الموروثة والسائدة أنذاك، وفتح باب الاجتهاد في الكثير من المسائل والنوازل تخص العصر الحديث ،كما أنها شجعت على محاربة الظلم والاستعمار ودعت إلى حفظ كرامة الإنسان المسلم ، ومن أبرز رواد هذا التيار نجد :-الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي ،خير الدين التونسي ،جمال الدين الأفغاني ،محمد عبده ،رشيد رضا ، عبد الرحمان الكواكبي صاحب كتاب (طبائع الاستبداد). ويمكننا طرح فكرة من أفكار جمال الدين الأفغاني ونضرته النهضوية أنذاك بقوله: (هناك خطران يهددان العالم الإسلامي، الأول خارجي وهو الاستعمار والثاني داخلي يتمثل في الانحطاط، التخلف والاستبداد في الحكم.

التيار المحافظ : ويطلق عليه التيار التقليدي أيضا ،أفكارهم واضحة وهي رفض الأفكار والمناهج الغربية ويرون أنها مروق من الدين وتشبه بالنصارى ،وان فكرة التحرر ماهي إلى دعوة للخروج عن الخلافة ومعاداة للإسلام وانه لابد من تجسيد الطاعة المطلقة للخليفة وما دون ذلك فهو تمرد وانحلال ومرجعيتهم الدينية في ذلك علماء الدين أمثال الماوردي وأحمد ابن تيمية .

التيار العلمي (العلماني): يرى هذا التيار أن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة صياغة التعاليم الدينية التقليدية بناء على المفاهيم العلمية والفلسفية السائدة ،وهذا الفكر أصطدم مع عقبة مهمة وهي ضرورة التخلص والقطيعة مع الماضي وهذا في حدا ذاته انسلاخ من الهوية الإسلامية ،وهنا حدث الانشقاق بين التيار العلماني واصبح هناك تيارين الأول يدعو إلى الحداثة والاستفادة من الحضارة الأوربية ويرى أن الحفاظ على الموروث الثقافي هو سبب التخلف ،في ين برز التيار القومي العروبي والذي يرى أنه لابد من الحداثة الحفاظ على الهوية العربية وابرز رواده قاسم أمين، أحمد لطفي السيد.

النهضة المصرية في القرن التاسع عشر:

يرى الكثير من المؤرخين ان عصر النهضة في مصر مرتبط بوصول محمد علي إلى الحكم هذا الأخير الذي عمل على سطر مشروع لبناء مصر من جديد وجعلها قوة عسكرية واقتصادية وثقافية لأن المقومات والأدوات متوفرة.

ادرك محمد علي ان النهوض بمصر يقوم على قاعدتين اساسيتين وهي إنشاء المدارس وتكوين جيش قوي بمعنى العلم والقوة ،لقد جاءت هذه النهضة في وقتها فمنذ حملة بونابرت سنة 1798ومصرتعيش في خوف من الغزو الأجنبي ،إذ اصبحت –رغم انفها احد مسارح الحروب النابليونية ،الحرب الباردة او الحرب الساخنة، لم يخرج الفرنسيون من مصر غلا بعد ان جرد عليهم الإنجليز حملات عسكرية سنة 1801، وبقي الاحتلال الإنجليزي عامين 1801–1803م ولم يخرج الإنجليز من مصر غلا بضغط فرنسي سياسي، وبعد اعوام اربعة عاد الإنجليز مرة اخرى فجردوا على مصر حملة لاحتلالها 1807 وهكذا شهدت مصر في خلال فترة لا تزيد عللا عشر سنوات ثلاث غزوات اوربية .

إن مصر الضعيفة اصبحت محل اطماع وتنافس الدول اوربية عليها ،هذا الوضع السلبي حتم عليها الخروج من هذا الوهن والضعف والأخذ بأسباب الحضارة والتطور.

تحددت رسالة مصر في القرن التاسع عشر، وتحدد برنامج العمل وما اضخمه من برنامج، ونهض به ذلك الجيل من المصرين في القرن المضي وسط ظروف شاقة، ويتألف البرنامج من العناصر الأتية:

– نهضة داخلية شاملة تتناول جميع مرافق البلاد الاقتصادية والاجتماعية والإدارية والثقافية.

– تكوين قوة عسكرية في البر والبحر للدفاع عن البلاد وتنفيذ سياستها الخارجية.

– اتخاذ سياسة خارجية نشطة تهدف إلى الانسلاخ من السيطرة العثمانية وإحياء الشرق العربي وتنظيم الصلات بين مصر والسودان والتوسع في إفريقيا كخطوة لابد منها لمقاومة الاستعمار الأوربي الذي بدأ زحفه إلى هذه المناطق.[1]

تلك هي العناصر التي تألفت منها نهضة مصر في القرن 19 وما بعده، وقد نهض المصريون في القرن الماضي لتحقيق ذلك البرنامج، وكانت نقطة انطلاقهم حين قوض محمد علي النظام العثماني.[2]

وقضى على العصبيات والعصبيات المختلفة التي تقاسمت السلطان فيما بينها وعلى انقاضها قامت الدولة الحديثة التي جمعت السلطة بين يديها وتحول الرعايا إلى مواطنين في الدولة الجديدة، ومضى المصريون فيعهد محمد علي في تحقيق برنامج النهضة، فأصابوا في ذلك حظا كبيرا من النجاح، ولكنهم

[1] بوسلامة محمد: مرجع سابق، ص 182.

[2] عبد الكريم أحمد عزت: دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة الحديثة، لبنان، ص 228.

ما لبثوا ان لقوا من المقاومة ما عطل سيرهم ومثل حركتهم وضيع عليهم في النهاية اكثر ما حققوه في حركتهم ذلك لأن امور مصر في القرن 19 عصر النهضة لم تكن خالصة لأبنائها ،فإن قيود السيادة العثمانية بقيت قائمة تثقل على مصر وتقيد حريتها في العمل.[1]

رفض السلطان العثماني محمود الثاني ان يعتبر نهضة مصر مصدر قوة للدولة بل على العكس ،كان الهدف المباشر للإصلاح في نضر السلطان محمود الثاني وخلفائه ان تقوي الدولة قبضتها على ولاياتها وان تمد سلطان الحكومة على المركزية في كافة ولاياتها إلى أقاليم لم تخضع يوما من الأيام لحكم السلطنة المباشر وإن كانت الدولة تعتبرها اراضي تحت السيادة العثمانية ، من ذلك ما حاولته السلطنة العثمانية في النصف الثاني من القرن 19 من الوصول إلى قلب الجزيرة العربية وإلى إحياء سلطتها في نيابات المغرب ، لم ير السلطان في نهضة مصر وتوسعها إلا عامل إضعاف الدولة.

ويمكننا القول ان القرن 19 لم يكن عصر نهضة فقط ولكنه كان في الوقت نفسه عصر الضغط الأوربي فالاحتلال البريطاني وماثلاه كان مكسة ووقف للنهضة وتضييع لأثارها ،وكان لابد ان يتصرف المصريون إلى مكافحة الاحتلال ،ولم يكن من صالح الاحتلال ان تشبع البلاد نهضة شاملة من شأنها ان تقوي يد المصريين في مكافحته.[2]

رواد النهضة العربية:

برز في المشرق الكثير من العلماء والدعاة والإصلاحين الداعيين إلى التغير والتطور ومواكبة الحضارة ومحاربة الجهل والتخلف والاستعمار، وكل بطريقته وأفكاره ونحن نقدم شخصيتين بارزتين مختلفتين في العقيدة وتتفقان على محاربة مظاهر التخلف.

-**عبد الرحمان الكواكبي (1903/1849):** أحد أبرز علماء ومفكري ومؤسسي الفكر الإصلاحي والمدافعين عن القومية العربية ،كانت بدايته كمحرر في جريدة الفرات الحكومية في سورية ثم أنشاء صحيفة الشهباء سنة 1877م وهي أول صحيفة تصدر باللغة العربية ثم أنشأ صحيفة الاعتدال 1879م وكلاهما أغلقتا بسبب مقالاتها المناوئة للسلطة العثمانية ،حيث يرى الكواكبي أن سبب التخلف والانحطاط والركود الثقافي والعلمي سببه سياسة الظلم والاستبداد الذي تمارسه الدولة العثمانية ضد المجتمع

[1] المرجع السابق، ص230.

[2] نفسه، ص234.

الإسلامي، وهاجم الدولة العثمانية في كتاب سماه طبائع الاستبداد وكتاب أم القرى وفي كلا الكتابين يهاجم سياسة الدولة العثمانية ويرفض طريقة الحكم ويقدم وجهة نضره في تعين الحاكم عن طريق الشورى ودعا إلى قيام خلافة عربية على أنقاض الخلافة العثمانية.

- **شبلي شميل (1917/1850):** من رواد النهضة العربية وهو مسيحي لبناني ،تخرج من الكلية البروتستانتية (الجامعة الأميركية)في بيروت، درس الطب في فرنسا ثم استقر بمصر وهناك أسس مجلة الشفاء سنة 1886م، وكان أول من أدخل نظرية داروين إلى العالم العربي من خلال كتاباته في كتابه (المقتطف) ثم في كتابه (فلسفة النشوء والارتقاء)، دعى إلى فصل الدين عن الدولة من أجل تحقيق العدالة والوحدة الاجتماعية ولقي نقدا ومعارضة كبيرة عند الكثير من المفكرين ورد عليهم في كتاب عنوانه أراء الدكتور شبلي شميل أهم مقولة له :(فأرائي الدينية والاجتماعية والعلمية ليست غريبة عن العلم اليوم وهي ليست من الآراء الفلسفية التي تسع مجال التخريج فيها لكل مفكر غير مقيد بقيد علمي ،بل هي نتيجة لازمة لأبحاث علمية خارجة من معمل طبيعي وداخلة في بوتقة الكيمياء وواقعة تحت مشراط المشرح ،ولا سبيل للخروج عنها إل بالوقوع في الغريب...).

وفي الأخير ما يمكننا أن نستنتجه أن المشرق العربي مر بظروف صعبة دفعته إلى البحث عن سبيل لبعث تاريخه وصناعة حاضره بين الأمم وهذا كله لابد من الاستعانة بسبل ووسائل التطور ويقول في هذا الصدد شكيب أرسلان :(أنه لا نهضة للأمم سوى النهضة العلمية ،فإذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية واجتماعية واقتصادية ...إلخ) .

شهدت الدولة العثمانية مع مطلع القرن ال20 أحداث بارزة في سياستها الداخلية والخارجية ،عجلت بسقوطها من إمبراطورية متناثرة الأطراف إلى دويلة صغيرة تحاول المحافظة على كيانها واستقرارها أمام تنامي القوى الاستعمارية الجديدة واشتعال الحرب العالمية الأولى 1914م، حيث انقسم العالم إلى قوتين :قوات الحلفاء (الوفاق الثلاثي) بزعامة بريطانيا ودول المركز بزعامة ألمانيا وتوسعت التحالفات مع اتساع دائرة الحرب لتدخل الدولة العثمانية في تحالف مع ألمانيا، لكن موازين القوى تغيرت بدخول أمريكا إلى الحرب والذي تكلل بانتصار دول الوفاق في هذه الحرب ومن ثم تغيرت خارطة العالم الجيوسياسية والتي كان لها الأثر السيئ على المشرق العربي ،وهنا نتسأل عن واقع المشرق العربي في هذه الفترة وكيف كانت مشاركة العرب في الحرب؟ وماهي نتائج الحرب على المنطقة وردود الفعل العربية؟

وبدخول الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا أصبحت اراضي إمبراطورية العثمانية ميدانا للصراع العسكري والذي لم تكن تركيا بظروفها الاقتصادية والعسكرية قادرة على مواجهتها ولكنها اعتمدت على ألمانيا في سد حاجياتها العسكرية في الحرب.

وكما سبق وذكرنا أن الدولة العثمانية وصلت مرحلة الانهيار وذلك لفشل سياستها الداخلية وفساد الصدور العظام وفشلهم في تسير البلاد ومنح التسهيلات للدول الأوربية والتي كان قناصلها عبارة عن جواسيس ،أيضا فساد الجيش وتدخله في السياسة وتراجع قوتها وإمكانياته العسكرية مقارنة بالتطور الحاصل في أوربا، كثرة الديون الخارجية على الدولة العثمانية ،الفوضى الداخلية وظهور الحركات المتمردة والانفصالية في الولايات العربية .

وصول حزب الاتحاد والترقي وانتهاجه سياسة عنصرية ضد العرب: في 1909/4/17 سيطر الاتحاد والترقي على السلطة بعزل السلطان وتنصيب أخاه محمد رشا (محمد الخامس)، وقد عملت السلطة الجديدة إلى الانقلاب على أفكاره الديموقراطية وانتهاج سياسة متطرفة وذلك بتحييد وإقصاء العناصر والقيادات العربية وهذه السياسة هي بداية لمرحلة سيئة جدا في تاريخ تركيا المسلمة إلى تركيا العلمانية وتغير كل معالمها من فصل الدين عن الدولة وتغير الخط العثماني العربي إلى الحرف اللاتيني وإجبارية اللغة التركية في الإدارة والمدارس الحكومية .

أبدى العرب تخوفهم من هذه السياسة التتريكية التي ينتهجه الاتحاد والترقي وطالب المثقفين العرب من الاتحاديين بضرورة ترسيم اللغة العربية في البرلمان ،كما تأسست الكثير من الجرائد ذات التوجه العربي القومي والرافض لسياسة الحكومة خاصة أقصاء الإطارات العربية وتقريب اليهود ومنحهم وزارات ،كما تأسس حزب المنتدى العربي سنة 1911 والذي كان خطه وتوجهه واضح وهو الدفاع عن حقوق وامتيازات العرب وقد فتح هذا الحزب له فروع في الولايات العربية ،وظل الحزب يواصل نضاله السياسي حتى سنة 1915م لما قرر الاتحاديين إعدام القائد السياسي عبد الكريم الخليل.

المحور الثالث:

- **المحاضرة 1: التغلغل الأجنبي في البلاد العربية ومشروع التقسيم**
- **المحاضرة 2: المسألة الشرقية مظاهرها آثارها على المشرق العربي**
- **المحاضرة 3: السلطان عبد الحميد الثاني**

المحور3: المحاضرة 1: عوامل ضعف وسقوط الدولة

1. التغلغل الأجنبي في البلاد العربي ومشروع التقسيم:

الحماية البريطانية على مصر:

في 19 ديسمبر 1914 أرسل القائم بالأعمال البريطاني تبليغا للسلطان حسين كامل بمثابة مشروع أول نظام حماية جاء فيه: (أن لدى حكومة جلالة الملك أدلة وافرة على أن سمو الأمير عباس حلمي خديوي مصر السابق قد انضم انضماما قطعيا إلى أعداء جلالته منذ نشوب الحرب بألمانيا، وبذلك تكون الحقوق التي كانت لسلطان تركيا والخديوي السابق على البلاد قد سقطت عنها وألت لجلالته).

وكانت ردة فعل دول الوفاق كالتالي: بالنسبة لروسيا وافقت على ذلك مقابل موافقة بريطانيا على ضم روسيا لضم مضايق البوسفور والدردنيل بعد انتهاء الحرب، أما فرنسا فقد أبدت تحفظا مقترحة أن تؤجل هذه المسائل حتى انتهاء الحرب.

ويمكننا القول أن سيطرة بريطانيا على مصر قلبت موازين القوى وأثرت على سير العمليات الحربية في الشرق لأدنى والذي ساعد بريطانيا على استغلال قواعدها في المنطقة واستغلال إمكانيات مصر، كما انها حققت مكاسب بضمان سلامة مواصلاتها الإمبراطورية ،كما أن غلق قناة السويس والتحكم فيها أثناء مرور السفن من المدخل الشمالي للبحر الأحمر واستغلال موارد مصر البشرية والاقتصادية والعسكرية في الحرب .

الاتصالات البريطانية بشريف مكة:

بدأت الاتصالات الاستطلاعية بين الشريف حسين والإنجليز قبل الحرب العالمية الأولى عن طريق الأمير عبد الله الذي كان في مصر سنة 1912 والتقى باللورد كتشنر المعتمد البريطاني في القاهرة وفي اللقاء أفاض الأمير عبد الله في الكلام عن سخط العرب على السياسة التي يتبعها رجال الحكم في تركيا وأن العرب يتوقون إلى التخلص من الحكم المركزي الظالم الذي فرضه رجال اتحاد الترقي ،وعن العلاقة السيئة بين رجال الترقي ووالده الشريف حسين بسبب إصرارهم على عزل والده من منصبه ،وقد أشار الأمير عبد الله أن والده على استعداد كامل لإعلان الثورة على الأتراك إذا لقيا دعما من الخارج .

والاتصال الثاني للأمير عبد الله مع السكرتير الشرقي في القاهرة رونالد ستورز وقد شرح له موقف الشريف حسين من الأتراك والرغبة في دعم الإنجليز له ،لكن رونالد ستروز لم يقدم للأمير عبد الله أي تطمينات أورد كافي.

كانت هذه الاتصالات كافية لبريطانيا لبداية التخطيط للتوسع في المنطقة فقامت باتصالات مباشرة مع الشريف حسين ومع زعماء الحركة الوطنية في سوريا والعراق والحجاز وهذه المناطق في منتهى الأهمية لبريطانيا لأنها قلب الدولة العثمانية مركز العالم الإسلامي .

مراسلة الشريف حسين للسلان العثماني بشأن الحرب: أرسل الشريف حسين برقية إلى السلطان العثماني يعبر فيه عن وجهة نضره في الحرب وقد استند في رأيه إلى نضرة عسكرية، إذ أن دخول تركيا إلى الحرب خطر عليها و على الولايات العربية وذلك لعدم وجود حدود مشتركة بين ألمانيا وتركيا فلا تستطيع ألمانيا إمداد الجيوش التركية بالأسلحة والمعدات اللازمة، وعبر عن مخاوفها بالنسبة للأقطار البعيدة عن تركيا كاليمن والبصرة والحجاز وهي محاطة بقوة بحرية للحلفاء لا يستطيع الأهالي مواجهتهم بأسلحة بدائية، لكن السلطات العثمانية كانت قد حسمت قراراتها سابقا.

ولما رأى الشريف حسين أن الأمر وقع طالب ببعض الحقوق مقابل مشاركة العرب في الحرب وهي

- العفو على المحكوم عليهم بالإعدام والمتهمين بالتخابر مع دول أجنبية.
- تطبيق نظام اللامركزية في سورية .
- استبقاء إمارة مكة في شخصه وفي أولاده من بعده.

لكن رد السلطان كان رفضا قاطعا واعتبر هذه المطالب ليست من اختصاص شريف مكة، وبهذا الرد القاسي أعتبر الشريف حسين أنه في حل ومتحرر من سلطة الدولة العثمانية.

وفي سنة 1915م أرسل الشريف حسين ابنه الأمير فيصل إلى دمشق من أجل التنسيق مع زعماء الحركة الوطنية (جمعيتي العربية الفتاة والعهد)، وشرح لهم وجهة نضره ،فكان ردهم أنه إذا وافقت الدولة العثمانية على مطالب الشريف فأنهم سيشاركون في الحرب إلى جنبها أما إذا رفضت فتكون الثورة عليها ،كما انه لابد من دعم الإنجليز والموافقة على استقلال الأراضي العربي والاعتراف الدولي بها .

وفي 14 جويلية 1915 أرسل الشريف حسين برقية إلى هنري مكماهون تحمل أول مقترحات محددة للاتفاق مع الإنجليز بشأن إعلان العرب الثورة ضد الأتراك، لذلك طلب الشريف أن تعترف إنجلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين أطنة شمالا في الخليج الفارسي ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ومن المحيط الهندي للجزيرة العربية جنوبا ومن البحر الأحمر حتى سينا غربا، على أن توافق إنجلترا على إعلانه خلفة للمسلمين، وفي 3 أوت 1915 جاء رد مكماهون مبهما، على قبوله المشروع لكنه يرفض مناقشة فكرة الحدود حتى ما بعد الحرب .

سايكس بيكو 1916:

تعرف اتفاقية سايكس بيكو أنها اتفاق سري بين تم بين المملكة البريطانية المتحدة وفرنسا وبمصادقة الإمبراطورية الروسية حول كيفية تقسيم منطقة الهلال الخصيب بين بريطانيا وفرنسا وذلك من أجل تقسيم مناطق النفوذ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

سير الاتفاق: تمت المفاوضات من شهر نوفمبر 1915 وشهر ماي 1916 وذلك بين القنصل الفرنسي في بيروت فرنسوا جورج بيكو وبين المستشار والديبلوماسي البريطاني المكلف بالشرق الأوسط سير ماركس بيكو ،ومنه سمية باتفاقية ساكس بيكو وكان من أهم نتائجها:

- إنشاء دولة عربية مستقلة يحكمها زعيم عربي في منطقة (أ) وتضم المدن التالية (الموصل، حلب، حمص، حماة، دمشق) ومنطقة (ب) تضم كركوك، شرقي الأردن، النقب، العقبة) وتعترف فرنسا وبريطانيا بهذه الدولة على أن يكون لفرنسا في المنطفة (أ) وبريطانيا في المطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات وتقديم المستشارين والموظفين بناء على طلب الحكومة العربية.
- وضع فلسطين تحت الإدارة الدولية المتفق عليها بالشورى بين فرنسا وبريطانيا
- منح ميناء عكا وحيف لبريطانيا وميناء الإسكندرية لفرنسا

ويعتبر هذا الاتفاق مؤامرة ضد العرب الذين تحالفوا مع الفرنسين والإنجليز ضد الدولة العثمانية المسلمة وسخروا مواردهم البشرية والاقتصادية مقابل مشروع قومي إنشاء دولة عربية مستقلة لكنهم خسروا كل شيء وخسروا فلسطين فيما لعد سنة 1917م والتي قدمت بريطانيا لليهود وفق وعد بلفور المشؤوم.

مؤتمر الصلح 28 جوان 1919: شارك في هذا المؤتمر الأمير فيصل والذي قدم اقتراحاته ومطالبه وهي باستقلال البلاد العربية التي حددها والده في الشريف حسين في مراسلته لمكماهون مقابل الدعم

العربي في الحرب ضد العثمانيين، واستند أيضا الأمير في مطالبه لمبادئ ولسن التي تنص على حق الشعوب في تقرير المصير، لكن كانت هناك معارضة شديدة من قبل فرنسا وبريطانيا لهذ المطل إلا أن الرئيس الأمريكي فرض رايه وقرر إرسال لجنة تقصي حقائق إلى المنطقة.

لجنة كنج كراين: زارت اللجنة الموفدة من قبل المؤتمر المنطقة العربية وجاء في توصياتها: أن بلاد الشام ترفض السيطرة الأجنبية ويقترح فرض الانتداب تحت وصاية عصبة الأمم المتحدة حيث أن العرب مجتمعين على أن يكون الأمير فيصل ملكا على الأراضي العربية دون تجزئتها ،وسلمت اللجنة تقريرها إلى الرئيس الأمريكي في 28 أوت1919م، لكن هذه التوصيات بقيت حبرا على ورق خاصة بعد تجاهل الطرف الأمريكي لهذه المطالب، حتى انعقاد **مؤتمر سان ريمو (19-5أفريل 1920)** والذي من قراراته وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وضع العراق تحت الانتداب الإنجليزي ،وضع فلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب الإنجليزي مع الالتزام بوعد بلفور، قوبلت هاته القرارات بالرفض والاحتجاجات من قبل الشعوب العربية التي رأته مؤامرة دولية ضدها حيث عدد من الضباط بمهاجمة الحاميات الفرنسية مما اتخذتها فرنسا ذريعة لدخول القوات الفرنسية إلى دمشق وفرض الانتداب بالقوة رغم المقاومة المسلحة ضدها إلا أن جسدت نزعتها الاستعمارية.

وما كان ليكون هذا التقسيم والاستعمار والفرقة والشتات إلا ابتعادنا عن قيم ومبادئ الحضارة بمعناها الحقيقي على حد قول مالك بن النبي " إن الاستعمار ليس مجرد عارض بل هو حتمية لانحطاطنا ".

نستنتج مما سبق:

- أن الإدارة العثمانية جاهدة مواكبة التطور الحاصل في الغرب فقامت بالعديد من الإصلاحات في الإدارة، القضاء، التعليم، الاقتصاد وفتح المجال أما الخبرات الأجنبية.

- أن البلاد العربية انفتحت على كل وافد جديد خاصة الفكر الأوربي مما خلق شبه صراع إن صح القول بين التيارات التقليدية والتيار الإصلاحي والتيار التغريبي.

- أن الدولة العثمانية وصلت مرحلة الانهيار وذلك لفشل سياستها الداخلية وفساد الصدور العظام وفشلهم في تسير البلاد ومنح التسهيلات للدول الأوربية.

– ان التغلغل الأوربي الاستخباراتي لعب دور مهم في زعزعة الاستقرار في الدولة العثمانية والبلاد العربية

– الدور اليهودي في الكثير من الدسائس والمؤامرات وإثارة الفتن خاصة يهود الدونمة.

– سيطرة بريطانيا على مصر قلبت موازين القوى وأُثرت على سير العمليات الحربية في الشرق لأدنى والذي ساعد بريطانيا على استغلال قواعدها في المنطقة واستغلال إمكانيات مصر.

– ان اتفاق سايكس بيكو مؤامرة ضد العرب الذين تحالفوا مع الفرنسين والإنجليز ضد الدولة العثمانية.

محور3: المحاضرة 2: المسألة الشرقية مظاهرها وأثارها على المشرق العربي

إن الحديث عن الدولة العثمانية وقوتها أبهر الكثير من العسكرين والسفراء الغربيين والمؤرخين وكل من عاصرها أو قرء عنها ،وهذا المؤرخ والفيلسوف الإنجليزي توينبي يقول :الإمبراطورية العثمانية هي الدولة الوحيدة التي جمعت الشرق الأوسط تحت حكمها أطول حقبة في التاريخ ،وذلك أمر لم توفق إليه الإمبراطورية الفارسية أو الرومانية أو العربية .....) ومن خلال استشهادنا بكلام تونبي نطرح نتسأل مهم هل حافظت الدولة العثمانية على قوتها واستقرارها؟

المسألة الشرقية :هي صراع الدول الأوربية على أملاك الدولة العثمانية إثر ضعفها ،أوهي المسألة التي تعنى بالتحالفات والاستراتيجية القائمة في أواخر عهد الدولة العثمانية وكيفية تقاسم أملاك الدولة في حالة انهيارها، ووصفت الدولة العثمانية بالرجل المريض أواخر القرن ال19 وبداية القرن 20، كدلالة على ضعف الدولة وانهيارها، ويمكن تعريفها أيضا هي مسألة النزاع المستمر بين بين النصرانية والإسلام ،أي مسألة حروب صليبية متقطعة بين الدولة القائمة بأمر الإسلام وبين دول مسيحية.[1]

تعود جذور المسألة الشرقية إلى سنة 1683حين خسر العثمانيون في معركة فيينا أمام القوات المتحالفة بين الكومنولث البولندي – اللتواني والنمسا، انتهى بتوقيع معاهدة كارلوفيتش سنة 1699م ومن أهم بنودها توقف الدولة العثمانية حربها على أوربا والتنازل على أملاكها في أوربا الوسطى ومنها المجر .

مرت المسألة الشرقية بمراحل مهمة وهي الثورة اليونانية 1822–1832، المسألة المصرية 1831 – 184م ،حرب القرم، وما يهمنا هو الصراع العثماني مع محمد علي والأثار المترتبة على ذلك.

مسألة الشام بين الدولة العثمانية ومحمد علي والي مصر:

تعتبر هذه الأزمة من أسوء الأزمات في الولايات العربية وكانت لها أثار ونتائج وخيمة على المنطقة وعلى الدولة العثمانية.

بدأت هذه الأزمة عندما رفض والي عكا تسليم مهاجرين مصريين في الشام مطلوبين لدى محمد علي ،وكانت ردت فعل محمد علي قوي حيث ارسل جيش جرار تحت قيادة ابنه الجيشتوجه نحو دمشق وحمص وعبر جبال طرطوس بعد معارك مختلفة بين الجيش المصري و الجيش العثماني، وقد انتهت

[1] كامل مصطفى: المسالة الشرقية، مؤسسة هنداوي للتعيم والثقافة، القاهرة، 2012، ص9.

بوصول إبراهيم باشا سنة 1832 إلى قلب أسيا الصغرى حيث وقعت بين الدولة العثمانية والقوات المصرية معركة قونية الشهيرة انتصرت فيها القوات المصرية في 21 ديسمبر 1832م وقد وقع في الأسر القائد العثماني رشيد باشا ،كم خسر الجيش العثماني أكثر من3 ألاف جندي قتيل و6 ألاف أسير.

ولما رات الدولة العثمانية تنامي قوة الجيش المصري لجات إلى طلب مساعدة روسيا فأرسل الإمبراطور نيكولاس الأول بعض السفن البحرية الروسية لدعم الجيش العثماني في صيغة تحالف عسكري معها لمواجهة تمدد جيش محمد علي الذي فاجأ العالم بهذه الانتصارات وفي هذه الأثناء تدخل الدول الأوربية خط الأزمة من مشاهد للأحداث إلى فاعل ومشارك للأحداث لأن مصالحها مهددة أمام هذا التحالف الجديد، تدخلت الدول الأوربية بالضغط على الأطراف المتصارعة من أجل التفاوض والجنوح إلى السلم ،وقد رمت الدبلوماسية البريطانية بكل ثقلها بالضغط على فرنسا بسحب تأييدها الغير معلن لمحمد علي، لأن انتصار هذا الأخير وبقاءه في بلاد الشام ومنطقة الأناضول معناه تهديد المصالح الأوربية عموما والبريطانية خصوصا .

قبل السلطان العثماني محمود التفاوض وانعقد في افريل1833إتفاقية كوتاهية والتي من اهم بنودها:

- جلاء الجيش المصري عن بلاد الأناضول.

- تخلي السلطان العثماني عن سوريا وإقليم أضنه وتعين إبراهيم باشا حاكما على الإقليم

- تثبيت محمد علي حكمه على مصر وكريت مقابل دفع جزية سنوية.[1]

أما عن باقي الولايات العربية فالأمر يكاد يكون مشابه حيث ظهر الزعامات المحلية التي إستغلت ضعف الدولة وانشغالها بالحروب الخارجية تارة وإخماد التمردات تارة أخرى، وبعض الحكام بقي مواليا للدولة العثمانية لكنه ورث الحكم لعائلته مقابل الخضوع تحت سلطة الباب العالي وتقديم الضرائب والهدايا والجند ومثال على ذلك بكوات وأعيان الأناضول وايضا حكم الأسر المحلية في بغداد خلال القرن 18 و 19، كما نجد حكم الأسر في اليمن وجبل لبنان (المعنيون والشهبانيون).

انعكست مظاهر ضعف الدولة العثمانية على الولايات العربية حيث انقسمت مجتمعات الشرق العربي إلى عصبيات وأحزاب ومثال ذلك النزاع بين القيسية واليمنية في الشام ،أو بين البيوتات المملوكية مثل الفقارية والقاسمية في مصر، وأَلبت نظم الحكم في الشرق العربي خلال القرن 18 م بالانهيار وذلك

[1] المرجع السابق، ص 20.

لاختلال التوازن الذي كانت ترمي قوانين السلطان سليمان بين السلطة المركزية ممثلة في الوالي الباشا من ناحية والحامية العثمانية والعصبيات المحلية من ناحية أخرى، وكان بقاء واستمرار التوازن بين مختلف القوى المختلفة يعتمد على مدى الرعاية التي يبذلها السلطان ،وكذلك على شخصية الباشوات والدفتردارات، ومن المستبعد أن ينجح هذا النظام دون أن يحدث باستمرار نوع من الاحتكاك أو محاولة الإصلاح ،كما أن الكثير من الحكام المحليين تخلو عن دورهم السياسي والإداري وأصبح همهم جمع الثروة وفرض الضرائب واستعمال القوة في الكثير من الأحيان وهذا من أجل ضمان بقاءهم واستمرارهم في الحكم وتوريث أبناءهم في بعض الحالات.

وبالجملة فإنه منذ ظهرت صولة الترك في أوروبا، أخذت بعض الدول على عهدتها معاداة الدولة ومطاردتها، والعمل على إخراجها من هاته القارة، ولكنها أعمال حبطت وآمال خابت؛ إذ أصبح أمر بقاء دولة آل عثمان من أول الأمور الضرورية اللازمة لسلامة بني الإنسان.

وقد وهب الله الدولة العثمانية سلطة عالية ورهبة عظيمة حينا طويلا من الزمان، فأخضعت لسلطانها الأمم والدول، وأرهبت بقوتها وعظمتها كل قوي وكل عظيم، ورفعت رايتها الهلالية الجليلة على أصقاع شاسعة وأقطار واسعة، فأبقت فتوحاتها وانتصاراتها في نفوس الأمم المقهورة بغضاء كامنة، وعداوة لدود، فكان ذلك السبب الأول في الحروب العديدة التي وجهت ضدها، وأقيمت في وجهها.

وإذا دققنا النظر في سبب العداوة المشهور، وهو مسألة الدين، وجدنا أن الدولة العلية هي الدولة الوحيدة في دول الأرض التي عاملت رعاياها الذين يدينون بغير دينها بالتسامح والتساهل والاعتدال. فقد اتبعت أوامر الشرع الشريف، وتركت للمسيحيين حرية دياناتهم وعوائدهم وتقاليدهم، واحترمت عقائدهم كل الاحترام، فعاشوا طويلا ممتعين بهاته الحرية على حين أن مسيحيي إسبانيا قتلوا المسلمين؛ لأنهم مسلمون، وهتكوا أعراض نسائهم، وحرمة بيوتهم، وما رحموا إنسانا.

ولم تكتف الدولة العلية حماها الله بحسن معاملة المسيحيين واحترام أديانهم وعقائدهم، بل عاملتهم كأعز أبنائها المسلمين، ولم تميز بين هؤلاء وبينهم، وسلكت مع الكل طريق المساواة، وعينت الكثيرين من المسيحيين في المناصب السامية والوظائف العلية، وائتمنتهم على أمورها، وجعلتهم محل ثقتها، وبقاء المسيحيين إلى اليوم في الدولة العلية أكبر شاهد على اعتدالها الديني في الماضي وفي الحاضر، بل بقاء الجنسيات المختلفة كالبلغار والصرب واليونان وغيرها دليل ساطع وبرهان قاطع على أن الدولة العلية احترمت من نفسها وبمحض إرادتها دين الذين وقعوا تحت سلطتها، ولم تقهر أحدا على اعتناق الدين

الإسلامي، ويعترف الكتاب والمؤرخون جميعا، بل ويعترف كل إنسان في الوجود مجرد عن الغرض الأعمى أن الدولة العلية كان في قدرتها يوم كانت أقوى دول الأرض أن تجبر كل المسيحيين في بلادها على اعتناق دين الإسلام، أو أن تطردهم من أراضيها إذا خالفوا رغبتها، ولكنها احترمت الشرع الشريف فاحترمت الدين المسيحي وأصحابه.

وهي حقيقة يقررها التاريخ، وينطق بها كل منصف محب لها، ولكن من غرائب أحوال هذا الوجود أن هذه الفضيلة السامية، وهذه المكرمة الفريدة كانت أكبر سبب لكل ما لحق الدولة العلية من الضرر والإجحاف، وأصلا لكل ما حل بها من المصائب والبلايا؛ فاحترامها لعقائد المسيحيين على اختلاف أنواعهم أقام أمامها بعض دول أوروبا بحجة المسيحيين أنفسهم، وكان سببا لحروب جمة.

في نفوس الأمم المقهورة بغضاء كامنة، وعداوة لدود، فكان ذلك السبب الأول في الحروب العديدة التي وجهت ضدها، وأقيمت في وجهها.

فمسألة اختلاف الدين في الدولة العلية التي هي نتيجة الاعتدال الديني والعدل والإنصاف، كانت ولا تزال الداء الدفين الذي يهدد حياة الدولة من وقت إلى آخر. فتداخل الدول الأوروبية في شئون الدولة العلية باسم المسيحيين المحكومين بها، ومضايقة أوروبا للدولة باسم هؤلاء المسيحيين، واضطرابات الدولة تقوم باسم هؤلاء المسيحيين، والإنذارات التي توجه للدولة توجه باسم هؤلاء المسيحيين؛ بل وأغلب الحروب التي جرت مع الدولة جرت باسم هؤلاء المسيحيين، ويعلم الله إنهم سعداء الحظ في الدولة العلية، وأن تداخل أوروبا بحجة نصرتهم لا لزوم له البتة.[1]

ولو أنصفت الدول الأوربية قليلا لاعترفت بهذه الحقيقة الواضحة، وهي أن المسيحيين في الدولة العلية لا ينقصون عن المسلمين في حسن المعاملة إن لم يكونوا من الراجحين، وها هم اليهود لا يثورون ولا يهيجون ولا يشتكون ولا يتألمون، بل يحمدون الدولة ليلا ونهارا في السراء والضراء، ويسبحون في كل آونة بنعمها عليهم وحسن رعايتها لهم، وما ذلك إلا لأنه لا يوجد في الدول الأوروبية دولة تدعي الدفاع عنهم والعمل لمصالحهم، فهم ليسوا بالات في الدولة ضد الدولة، بل هم يعرفون من أنفسهم أنهم عثمانيون ممتعون بكل الحقوق العثمانية، وأما العناصر التي كالأرمن تستعملها بعض الدول كإنكلترا، فهي تثور بعوامل الدين وبدسائس دينية، وقد ثبت ذلك جليا في المسألة الأرمنية، وشوهد أن الأرمن الكاثوليك كانوا على سكينة تامة، بينما كان البروتستانت يثورون ويدبرون المكائد ضد الحكومة العثمانية.

---

[1] المرجع السابق، ص 30.

فمسألة الدين في الدولة العلية هي الآلة القوية التي يستعملها أصحاب الدسائس والغايات، وأولئك الذين يثورون بدسائس أعداء الدولة إنما يثورون ضد أنفسهم، ويقضون على حياتهم وسعادتهم بعبثهم وجنونهم واتباعهم لأوامر أعداء الدولة المحركين الهم؛ فالذين ماتوا من الأرمن في الحوادث الأرمنية إنما ماتوا فريسة الدسائس الإنكليزية، والذين ماتوا في كريد ماتوا فريسة الدسائس الإنكليزية، بل والذين ماتوا من جنود اليونان في تساليا ماتوا فريسة الدسائس الإنكليزية نفسها، ومن يعمل بنصيحة أعداء الدولة ويتبع أوامرهم فجزاؤه ما نال الأرمن واليونان.

وبديهي أن دولة مثل دولة إنكلترا التي تدعي محبة المسيحيين في الشرق، والعمل لراحتهم وسعاداتهم، لو كانت صادقة في دعواها، لرأت من الواجب عليها أن تصافي الدولة العلية حتى تنال منها متمناها بشأن المسيحيين، وإلا فمن الجنون في السياسة أن تدعي إنكلترا محبة المسيحيين، ثم تعادي الدولة العلية القابضة بيديها على زمام أمور المسيحيين، فهل يقبل العقل البشري أن دولة قوية كالدولة العلية تعمل في بلادها على خلاف رغبتها، وتنيل أصدقاء الإنكليز أي أصدقاء ألد أعدائها الراحة والسعادة والهناء؟! هل يقبل العقل البشري أن المسيحيين المدافعة عنهم إنكلترا يعادون المسلمين، ثم يسألونهم معاملتهم بالرقة واللطف وحسن العناية بهم؟!

إن الاتفاق والوفاق بين المسلمين والمسيحيين في الدولة العلية لا يكون نتيجة الضغط والقوة، بل نتيجة الميل المتبادل وحسن النية من الجانبين، والإخلاص والوفاء للدولة العلية وإذا كانت دول أوروبا تريد حقيقة سعادة المسيحيين في الشرق، فأول واجب عليها هو أن تأمرهم بالامتثال لأوامر الدولة، والتعلق بها، والإخلاص في خدمتها، وإلا فالدولة أو فالدول العاملة على إلقاء بذور الشقاق والعداوة بين المسلمين والمسيحيين لا تجني ويستحيل أن تجني شيئا آخر غير العداوة المرة والخصومة الشديدة.[1]

وغني عن البيان أن المسلمين في الدولة العلية متى رأوا فريقا من أخدانهم المسيحيين يعمل بأوامر الأجنبي عدوه خائنا للوطن العثماني، ناكثا لعهد الدولة العثمانية، أي عدوه دخيلا في الوطن والملة والدولة، ووجب عليهم العمل ضده بكل ما في استطاعتهم قياما بواجباتهم الوطنية، وهذا هو الشأن في أمم العالم، فلو فرضنا أن فريقا من الإنكليز قام يوما ما في إنكلترا بإحداث الاضطرابات والثورات تنفيذا لأوامر دولة أجنبية كروسيا أو ألمانيا أو فرنسا؛ فأي واجب تحتمه الوطنية عندئذ على بقية الإنكليز؟ أليس القضاء على هؤلاء الخونة المنفذين لأوامر دولة أجنبية بكل الوسائل؟

[1] المرجع السابق، ص 52.

القائمون بالثورات والاضطرابات في الدولة العلية خونة منفذون لأوامر أعداء الدولة، يجب على العثمانيين الصادقين إعلان العداء لهم، والانتقام منهم بكل ما في الجهد والاستطاعة.

ويستحيل الوصول كما قدمنا إلى الاتفاق السليم الصحيح بين المسيحيين والمسلمين في الدولة العثمانية إلا بإخلاص الجميع لها إخلاصا تاما، هذه هي الحقيقة وحدها دون غيرها.

محور3: تابع المحاضرة 3: المسألة الشرقية

1. حرب القرم بين الدولة العثمانية وروسيا سنة 1856م:

عندما احتلت الجيوش الروسية مقاطعتي الأفلاق والبغدان (رومانيا حاليا)التبعتين للدولة العثمانية ،لذلك تحالفت فرنسا وإنجلترا مع الدولة العثمانية خوفا على مصالحها في الدولة العثمانية وانتهت الحرب بهزيمة روسيا ،ولكن نتائجها لم تكن في صالح العثمانيين فقد حصلت أوربا على حرية الملاحة والمضايق ،ولم عقد معاهدة باريس سنة 1856 م والتي نصت:

– تخلى المناطق التي أحتلت أثناء الحرب من كلا الطرفين ويطلق سراح الأسرى ويصدر العفو العام عن جميع الذين تعاونوا مع خصوم دولهم.

- تطلق حرية الملاحة في البحر الأسود لجميع الدول ولا تنشأ فيه قواعد بحرية.
- تطلق حرية الملاحة في نهر الدانوب.
- تبقى الأفلاق والبغدان تحت حماية الدولة العثمانية.
- تبقى الصرب مرتبطة بالدولة العثمانية.[1]

ولكن سرعان ما ساعدت الدول الأوربية الأقاليم العثمانية الأوربية على الانفصال كالأفلاق والبغدان والجبل الأسود والصرب.

الخيانة الداخلية للدولة العثمانية:

إذا كان اختلاف الدين في الدولة العلية هو داء من أدوائها، بل هو أكبر أدوائها، فالدخلاء في الدولة العلية داء عضال، وبلية لا تعادلها بلية؛ فإن الذين كانوا سببا في هزيمة الدولة في حروب مختلفة هم الدخلاء، والذين ساعدوا الدسائس الأجنبية هم الدخلاء، فقد دخل في جسم الدولة العلية كثير من الأجانب نساء ورجالا، وغيروا أسماءهم بأسماء إسلامية، وعملوا على الارتقاء في المناصب حتى وصل بعضهم إلى أسماها، وصاروا من أقرب المقربين، فعرضوا بالدولة للدمار، وأطلعوا أعداءها على أسرارها، وقد انتشر الدخلاء في الزمن السالف إلى كل فروع الدولة العلية حتى في الجيش نفسه، وصارت لهم سلطة

[1] كامل مصطفى: مرجع سابق، ص 121.

عظيمة ونفوذ كبير، وكنت تجد من وزراء الدولة العلية من يعمل لصالح روسيا مدعيا أنه روسي السياسة، ومن يعمل لصالح إنكلترا مدعيا أنه إنكليزي السياسة، ولكن ليس منهم من كان عثماني السياسة.

ولولا أن الأمة العثمانية أمة حية قوية عظيمة الشهامة والوطنية، لكانت تلاشت اليوم بدسائس الدخلاء، ولو كان للدخلاء في دولة أخرى ما كان لهم في الدولة العلية من السلطة والحول، لكانت تقوض بنيانها وتداعت أركانها، وإن أعظم سلطان جلس على أريكة ملك آل عثمان، ووجه عنايته لإبطال مساعي الدخلاء، وتطهير الدولة من وجودهم، هو جلالة السلطان الحالي. فلقد تعلم من حرب سنة 1877 وما جرى فيها أن الدخلاء بلية البلايا في الدولة ومصيبة المصائب، فعمل بحكمته العالية على تبديد قوتهم، وتربية الرجال الذين يرفعون شأن الدولة، ويعملون لإعلاء قدرها، وقد برهنت الحرب العثمانية اليونانية على أن للدولة اليوم رجالا من أبنائها الصادقين، يخدمونها بالأمانة والوفاء، ويتفانون في محبتها، وأن ليس للدخلاء من سبيل لنوال مآربهم السيئة، فأمثال صاحب الدولة «أدهم باشا» الذي كان مجهول الاسم عند الكثيرين من العثمانيين قبل الحرب كثيرون في الدولة العلية، تظهرهم الحوادث وتعرفنا بهم وبقدرهم المشكلات.

وإن أغرب شيء في أحوال الدولة العلية وفي تاريخها يدهش أعداءها ويحير الكتاب الكارهين لها، هو بقاؤها حية بعد كل المصائب التي تساقطت عليها، والبلايا التي نزلت بها. فلقد رأت هذه الدولة العثمانية ما لم تره دولة من دول الأرض القديمة والحديثة، فقد كانت تتحالف معها بعض الدول كالنمسا مثلا، وتعمل وهي متحالفة معها على الاتفاق مع روسيا على تقسيمها، وقد كانت تتظاهر إنكلترا لها بالصداقة والوفاء، وتسعى وهي متظاهرة كذلك على ضياع أملاكها من يدها وسقوطها في قبضتها، وقد كانت دول أوروبا كلها تجتمع وتتحد على ما تسميه بالمبدأ المقدس، مبدأ حماية استقلال الدولة العلية وسلامتها، ثم كانت هي بعينها تجزئ الدولة العلية باسم هذا المبدأ المقدس نفسه، وقد كان العاملون على تقويض أركان الدولة وحلها عديدين أقوياء، ومع ذلك كله لا تزال الدولة العلية حماها الله قوية ثابتة الأركان تخافها أقوى الدول، ويخطب ودها إمبراطور شهد العالم كله بقوته وعظمته وبأسه.

ولقد يندهش الإنسان غاية الاندهاش عندما يقرأ ما كان يكتب من نحو مائة وعشرين سنة عن الدولة العلية؛ فقد كان الكتاب والسياسيون يتناقشون في مشروعات تقسيمها، فالبعض كان يريد أن يؤسس مكان الدولة العلية «الاتحاد البلقاني»، والبعض الآخر كان يريد إعادة ملك بيزانتان، وكان سياسيو روسيا

والنمسا يتباحثون في مشروع تقسيم الدولة بين دولتيهما، فكل كان يضع مشروعا، والجميع كانوا متفقين على أن الدولة قصيرة الأجل، وأكثرهم أملا في حياتها كان يجود عليها في مشروعه بعشرة من السنين أو عشرين عاما، ولو بعث اليوم من القبور كتاب أواخر القرن الماضي وسواسه، ورأوا الدولة العلية قائمة عزيزة تحارب في أواخر القرن التاسع عشر، وتنتصر وتجتاز العقبات عقبة بعد عقبة، وتصرف المصائب مصيبة بعد أخرى؛ لكذبوا أعينهم وما صدقوا بالحقيقة.

ولكن الحقيقة هي أن بقاء الدولة العلية ضروري للنوع البشري، وأن في بقاء سلطانها سلامة أمم الغرب وأمم الشرق، وأن الله جل شأنه أراد حفظ بني الإنسان من تدمير بعضهم البعض ومن حروب دينية طويلة بحفظ سياج الدولة العلية وبقاء السلطنة العثمانية، فقد لاقت هذه الدولة العثمانية في حياتها الطويلة أخطارا هائلة كانت تكفي التداعي بنيان أقوى الممالك، ومرت عليها ملمات كانت تندك لها الدول القوية والممالك القاهرة بدون أن تمس حياتها الحقيقية بسوء بل بقيت حية تدهش العالم بشبيبتها.

وقد أحس الكثيرون في أوروبا من رجال السياسة ومن رجال الأقلام أن بقاء الدولة العلية أمر لازم للتوازن العام، وأن زوالها – لا قدر الله – يكون مجلبة للأخطار أكبر الأخطار، ومشعلة لنيران يمتد لهبها بالأرض شرقها وغربها شمالها وجنوبها، وإن هدم هذه المملكة القائمة بأمر الإسلام يكون داعية لثورة عامة من المسلمين، وحرب دموية لا تعد بعدها الحروب الصليبية إلا معارك صبيانية.

وإن الذين يدعون العمل لخير النصرانية في الشرق يعلمون قبل كل إنسان أن تقسيم الدولة العلية أو حلها يكون الضربة القاضية على مسيحي الشرق عموما قبل مسلميه؛ فقد أجمع العقلاء والبصيرون بعواقب الأمور على أن دولة آل عثمان لا تزول من الوجود إلا ودماء المسلمين والمسيحيين تجري كالأنهار والبحار.

وهي الملمة التي يجب على محبي الإنسانية الصادقين في محبتهم العمل لمنع وقوعها ودفعها بتعضيد الدولة العلية وتقوية سلطانها.

ولقد اعتقدت الآن روسيا كما اعتقدت النمسا – وقد كانتا العدوتين القديمتين للدولة العلية – بأن تقسيم الدولة العلية أمر مستحيل، فعملت كلتاهما على المحافظة على السلام العام بالمحافظة على سياج الدولة العثمانية.

فقد رأت النمسا أن حروبها مع الدولة العلية أضرتها ضررا بليغا، وظهرت النتائج المشؤومة لهذه الحروب، فقد ضعفت النمسا، وانتهى بها الأمر أن فقدت أملاكها الإيطالية التي تكونت منها إيطاليا الحالية، وفقدت كذلك أمام بروسيا جزءا عظيما من مقاطعاتها الألمانية.

صراع النمسا مع الدولة العثمانية:

عملت النمسا في عدائها للدولة العلية على تهييج أمم البلقان ضد السلطنة السنية، باسم مبدأ الجنسيات؛ لأنها بصفتها دولة كاثوليكية كان لا يمكنها أن تهيج هذه الأمم الأرثوذكسية باسم الدين، فكانت نتيجة تهييج النمسا الأمم البلقان باسم الجنسيات وبالا عليها، وذلك أن مبدأ الجنسيات نفسه وجد أنصارا كبارا في قلب المملكة النمساوية، فقامت المجر ونالت حريتها واستقلالها النوعي باسم مبدأ الجنسية المجرية، وها هي أمة البوهيم قائمة اليوم بالمطالبة باستقلالها النوعي باسم مبدأ الجنسية البوهيمية، وقد أصبح من الظاهر للعيان أن دولة النمسا تنازع نزاع الموت في الأيام الحالية بفضل مبدأ الجنسية.

العداء الروسي للدولة العثمانية:

أما روسيا فقد قامت دائما في المسألة الشرقية باسم الدين الأرثوذكسي، فعملت الإخراج الرومانيين واليونانيين والمربيين والبلغاريين وأهل الجبل الأسود من تحت سلطة الدولة العلية باسم الدين الأرثوذكسي؛ فنشأ عن ذلك مع استقلال هذه الأمم الصغيرة عداوة شديدة بينها وبين بعضها لما وجدت في نفسها من الطمع لتوسيع دائرة أراضيها، ذلك فضلا عن أن الكنيسة اليونانية التي هي أم الكنائس الأرثوذكسية أصبحت غير معتبرة عند البلغاريين والمربيين، والنزاع القائم بين هذه الجنسيات المختلفة في مقدونيا يبين جيا درجة عدواتها لبعضها، ودرجة الخطر الذي صارت إليه بلاد البلقان بسبب مسألة الجنس والدين.

وإذا بحثنا فيما اكتسبته روسيا من حروبها مع الدولة العلية نجد أنها عادت تركيا قرنا ونصف قرن، وحاربتها المرار العديدة، وفقدت الرجال والمال بكثرة عظيمة في كل حرب، ولم تنل في الحقيقة من كل حروبها إلا بلاد القرم والقوقاز، وقد رأت روسيا ما لم تكن تظنه أبدا وهو أن بعض البلاد الصغيرة التي حررتها مثل صربيا وبلغاريا واليونان ورومانيا عادتها أشد العداء، ولا تزال صربيا ورومانيا واليونان سائرة في سياسة لا ترضي روسيا، وعلى الأخص رومانيا التي تمكن بينها وبين ألمانيا والنمسا والدولة العلية الصفاء والوداد، ولم تعتدل بلغاريا نفسها في سياستها مع روسيا إلا في هذه السنين الأخيرة من يوم اعتناق البرنس بوريس ولي عهد بلغاريا للدين الأرثوذكسي.

وقد رأت روسيا من جهة أن حروبها مع الدولة العلية لا تفيد غير إنكلترا التي قوي مركزها في آسيا وفي الشرق الأقصى، والتي لها أعظم مصلحة في إضعاف قوة روسيا، وإضاعتها الوقت والمال والرجال في حروبها مع الدولة العلية، ورأت كذلك من جهة أخرى أنه يستحيل عليها أن تأخذ الآستانة وتنفذ وصية بطرس الأكبر؛ لما تلاقيه في القيام بهذا الأمر من قبل الدولة العلية ومن دول أوروبا نفسها، وفي مقدمتها فرنسا حليفتها؛ ولذا فضلت روسيا الاهتمام بمسائل الشرق الأقصى ومسالمة تركيا، وقد تحقق العثمانيون من هذه المسالمة في المسألة الأرمنية وفي مسألة الحرب الأخيرة.

وقد شهد السياسيون بأنه لا يوجد في تاريخ علاقات الدولة العلية مع روسيا للمسالمة والصداقة مثل التلغراف الذي بعث به جلالة القيصر إلى جلالة السلطان يرجوه فيه أن يصدر أمره بإيقاف الحرب مع اليونان.

العداء الإنجليزي للدولة العثمانية:

قضت بريطانيا أزمانا طويلة ظهرت فيها للدولة العلية بمظهر الصديقة الوفية والحليفة الأمينة، وكانت تكسب من هذه الصداقة الكاذبة بقدر ما كانت تخسر تركيا؛ فإن لإنكلترا مصلحة عظمى دائمة في أن روسيا تحارب تركيا لتضعف قواها، فلا تستطيع مطاردة الإنكليز في الهند والشرق الأقصى، ولتضعف تركيا فتستولي إنكلترا على شيء من أملاكها بحجة الدفاع عنها، وفوق ذلك فإن إنكلترا كسبت كثيرا من صداقة تركيا لها – بقطع النظر عن المكاسب المادية والتجارية والصناعية – بما كانت تنيلها هذه الصداقة من النفوذ عند المسلمين، ومن السلطة التامة على مسلمي الهند. فلقد كاد أهل الهند يطردون الإنكليز من بلادهم في ثورة سيباي الشهيرة لولا صداقة تركيا لهم، هذه الصداقة التي حملت المرحوم السلطان عبد المجيد» على إصدار منشور لمسلمي الهند أمرهم فيه بالركون إلى السكينة والهدوء وعدم القيام بإحداث الاضطرابات ضد حكومة صديقته «ملكة بريطانيا».

فإذا كان الإنكليز في الهند عاشوا طويلا آمنين شر المسلمين، فما الفضل في ذلك إلا للدولة العلية، وها هم اليوم يدعون أن تركيا «عدوتهم الحالية» وصديقتهم القديمة أوعزت إلى الهنود المسلمين بالثورة، فثاروا ولا يزالون ثائرين، وسواء كانت ثورتهم بإيعاز من تركيا – وهو ما لا أظنه لأن الثورة قائمة بها قبائل معلومة، ولو كانت الدولة العلية أوعزت بالثورة لثار مسلمو الهند جميعا – أو بإيعاز من ضمائرهم ونفوسهم، فدعواهم هذه دليل ساطع على أنهم استفادوا كثيرا من تظاهرهم بالصداقة للدولة العلية، وإن إشهارهم العداوة لتركيا لا يضر إلا بهم.

ولقد أدركت الحكومة العثمانية من يوم أن تولى أمور الدولة العلية جلالة السلطان الأعظم «عبد الحميد الثاني» أن إنكلترا خداعة في ودها، وأنها تضر بمن تتظاهر لهم بالصداقة أكثر مما تضر بأعدائها الظاهرين؛ فقد أخذت من الدولة العلية قبرص بدعوى مساعدتها ضد روسيا في مؤتمر برلين، ثم دخلت المؤتمر وخرجت منه بدون أن تستفيد تركيا من هذه المودة الإنكليزية الكاذبة أقل فائدة، بل إن الدولة العلية فقدت في هذا المؤتمر ما لم تفقده قط في مؤتمر آخر.

وقد شعرت روسيا كذلك بعد حرب سنة 1877 أنها لا تستفيد من حروبها مع تركيا ما يعوض عليها خسائرها العظيمة في هذه الحروب، ففضلت سياسة مسالمة الدولة على سياسة العداء، فكان هذا التاريخ مبدأ للشقاق والعداوة بين الدولة العلية وبين إنكلترا، وقد ظهرت هذه العداوة بمظهرها التام الواضح بعد احتلال الإنكليز لمصر؛ حيث رأى جلالة السلطان في هذا الاحتلال وفي خطة الإنكليز فيه وفي خداعهم لجلالته ما علم منه أن الإنكليز لا صديق لهم، وأنهم أكبر أعداء تركيا، وأن صداقتهم القديمة المزعومة لم تكن إلا حجابا ستروا وراءه عداوتهم المرة وأطماعهم الشديدة ضد دولة آل عثمان.

ومن ذلك الحين عملت إنكلترا على دس الدسائس ضد السلطنة السنية في كل أنحاء الأملاك المحروسة، فهاجت الأرمن والكرديين والدروز، ولكن دسائسها لم تأت بغير نتيجة واحدة، وهي إضعاف هذه العناصر التي اتخذتها إنكلترا آلات لها وإظهار قوة الدولة العلية أمام الملأ كله.

وقد علمت اليوم كل العناصر على اختلافها، وجميع الأمم صغيرة كانت أو كبيرة، أن عدو اليونان الحقيقي ليس بتركيا التي صبرت على رذائلها طويلا، بل إنكلترا التي شجعتها على الحرب، وساعدتها في السر والجهر، وملأت مقدونيا من الأسلحة والدنانير الإنكليزية مؤملة قيامها في وجه تركيا أثناء الحرب، فخابت آمالها، وحبطت مساعيها، ورجعت مخذولة خذلانا سياسيا دونه خذلان اليونان الحربي.

وقد حسب الإنكليز أنهم يبلغون متمناهم من مصر ووادي النيل، ويضعون بذلك أيديهم على الحجر الأساسي للخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية، ولكن ما لا ريب فيه هو أن نصيبهم في مصر الفشل عاجلا أو آجلا، ولا يغر القراء سيرهم الحالي في بلاد وادي النيل، فإنما هو نتيجة ضعف رجال مصر الذين شامت إليهم مقاليد الأمور، واستيلاء الإنكليز على الإدارات المصرية لا يؤثر مطلقا على جوهر المسألة نفسها، وحيث فشل نابليون الأول يفشل الإنكليز ولا محالة.

وقد علمت إنكلترا أن احتلالها لمصر كان ولا يزال ويكون ما دام قائما سببا للعداوة بينها وبين الدولة العلية، وأن المملكة العثمانية لا تقبل مطلقا الاتفاق مع إنكلترا على بقائها في مصر؛ إذ إن مسألة مصر

بالنسبة لتركيا والخلافة تعد مسألة حيوية؛ ولذلك رأت إنكلترا أن بقاء السلطنة العثمانية يكون عقبة أبدية في طريقها، ومنشأ للمشاكل والعقبات في سبيل امتلاكها مصر، وأن خير وسيلة تضمن لها البقاء في مصر ووضع يدها على وادي النيل هو هدم السلطنة العثمانية، ونقل الخلافة الإسلامية إلى أيدي رجل يكون تحت وصاية الإنكليز، وبمثابة آلة في أيديهم؛ ولذلك أخرج ساسة بريطانيا مشروع الخلافة العربية مؤملين به استمالة العرب لهم، وقيامهم بالعصيان في وجه الدولة العلية، ولكن العرب وغير العرب من المسلمين أرشد من أن يخدعهم الإنكليز بعدما مر من الأمور، وما جرى من الحوادث؛ ولذلك أيضا كنت ترى الإنكليز ينشرون في جرائدهم أيام الحوادث الأرمنية مشروع تقسيم الدولة العلية حماها الله جاعلين لأنفسهم من الأملاك المحروسة مصر وبلاد العرب، أي السلطة العامة على المسلمين.

والذي يبغض الإنكليز على الخصوص في جلالة السلطان الحالي هو ميله الشديد إلى جمع كلمة المسلمين حول راية الخلافة الإسلامية، وهو أمر يحول بينهم وبين أسمى أمانيهم، أي إيجاد الشقاق بين المسلمين وبعضهم وخروج بعض المسلمين على السلطنة العثمانية، ومن ذلك يفهم القارئ سبب اهتمام الإنكليز بالأفراد القليلين الذين قاموا من المسلمين ضد جلالة السلطان الأعظم، وسبب مساعدتهم لهم بكل ما في وسعهم.

وإنكلترا تعلم علم اليقين أنها لو استطاعت أن تجعل خليفة المسلمين تحت وصايتها، أي آلة لها، يكون لها سلطة هائلة ونفوذ لا حد له في سائر أنحاء المعمورة، فإنها تستطيع عندئذ – لا قدر الله – أن تنفذ رغائبها عند المسلمين التابعين لها وغير التابعين بواسطة هذا الخليفة؛ ولذلك فهي بعملها على هدم السلطنة العثمانية تعمل على تحقيق غرض بعيد هو أكبر أغراضها، وأمنية سياسية دونها كل الأماني.

وكما أن مشروع الاستيلاء على السودان بواسطة مصر هو من المشروعات القديمة عند الإنكليز، ويثبت ذلك إرسال غوردون وساموبل باكر إلى آخر السودان بواسطة حكومة مصر التي أحسنت الظن بالإنكليز، فإن مشروع جعل الخلافة الإسلامية تحت وصاية الإنكليز وحمايتهم هو مشروع ابتكره الكثيرون من سواسهم منذ عهد بعيد، وقد كتب كتاب الإنكليز في هذا الموضوع ومنهم المستر بلانت المعروف في مصر. فقد كتب كتابا قبل احتلال الإنكليز لمصر في هذا المعنى سماه «مستقبل الإسلام»، وأبان فيه أغراض حكومة بلاده، وأماني الإنكليز في مستقبل الإسلام، وقد كتب في فاتحة كتابه ما نصه:

لا تقنطوا فالدر ينثر عقده ليعود أحسن في النظام وأجملا أي إن هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين، بل إن هذا العقد العثماني ينثر ليعود عقدا عربا أحسن وأجمل.

ولكن ما لم يقله المستر بلانت هو أن قومه يريدون هذا العقد العربي في جيد بريطانيا لا في يد الإسلام.

ويبين المستر بلانت في كتابه هذا قوة العالم الإسلامي، وكيف أن المدير لأموره يكون قونيا واسع السلطة، ويبين كذلك مشروع نابليون الأول، وكيف أنه أراد أن يكون خليفة المسلمين، وأن يقود قواهم، وهو يريد بذلك إلفات أنظار قومه إلى مشروع هم القائمون به الآن، ويبين المستر بلانت أيضا «أن مركز الخلافة الإسلامية يجب أن يكون مكة، وأن الخليفة في المستقبل يجب أن يكون رئيسا دينيا، لا ملكًا دنيوا.» أي إن الأمور الدنيوية تترك لإنكلترا تدبر أمورها كيف تشاء! ويعقب المستر بلانت ذلك بقوله: «إن خليفة كهذا يكون بالطبع محتاجا لحليف ينصره ويساعده، وما ذلك الحليف إلا إنكلترا!» وبالجملة فحضرة المؤلف لكتاب مستقبل الإسلام يرى – وما هو إلا مترجم عن آمال أبناء جنسه

– أن الأليق بالإسلام أن ينصب إنكلترا دولة له، ولم يبق للمستر بلانت إلا أن يقول بأن الخليفة يجب أن يكون إنكليزا؟

يتضح جلا للقارئ مما قدمناه أن ليس للسلطنة العثمانية، وبالطبع للخلافة الإسلامية في هذه الأيام عدو يجاهر بالعدوان لها، ويعمل على دك أركانها، وتقويض بنيانها غير إنكلترا، ويمكن تعريف المسألة الشرقية اليوم بأنها مسألة النزاع القائم بين إنكلترا وبين بقية دول أوروبا بما فيها الدولة العلية؛ فإن معاداة إنكلترا للدولة العلية هي في الحقيقة معاداة لكل المسيحيين ولكل المسلمين، أي للعالمين الغربي والشرقي.

وإن واجب أوروبا أمام هذه الحرب السياسية حرب الدسائس والأكاذيب القائمة بها إنكلترا ضد الدولة العلية واضح جلي، فمحتم عليها إذا كانت تعمل للمحافظة على السلام العام وعلى أرواح البشر أن تحبط مساعي إنكلترا في الشرق، وأن تقف لها بالمرصاد، ومن العدل أن نقول: إن حكومتي فرنسا وروسيا قامتا في المسألة الأرمنية بإبطال الدسائس الإنكليزية، وإحباط مساعي سواس إنكلترا، وأظن أنه لم يغب عن ذهن إنسان أن إنكلترا عرضت رسما على الدول الأوروبية خلع جلالة السلطان الأعظم فرفضت روسيا وفرنسا طلب إنكلترا قبل كل الدول، وقد قامت ألمانيا في الحرب الأخيرة بواجب أوروبا كلها ضد إنكلترا؛ فتم للدولة العلية الظفر والنصر وتم لبريطانيا الفشل والخذلان.

أما واجب العثمانيين والمسلمين أمام عداوة إنكلترا للدولة العلية فبين لا ينكره إلا الخونة والخوارج والدخلاء؛ فواجب العثمانيين أن يجتمعوا جميعا حول راية السلطنة السنية، وأن يدافعوا عن ملك بلادهم بكل قواهم، ولو تفاني الكثيرون منهم في هذا الغرض الشريف حتى يعيشوا أبد الدهر سادة لا عبيدا،

وواجب المسلمين أن يلتفوا أجمعين حول راية الخلافة الإسلامية المقدسة، وأن يعززوها بالأموال والأرواح؛ ففي حفظها حفظ كرامتهم وشرفهم، وفي بقاء مجدها رفعتهم ورفعة العقيدة الإسلامية المقدسة.

مرحلة ضعف الدولة العثمانية وانهيارها:

بدأت الدولة العثمانية تسير تدريجيا نحو الضعف ابتداء من القرن 17 وبدات الأوربية تتدخل في شؤونها الداخلية وتقطع أجزاء من اراضيها وظهر ذلك جليا في معاهدة كارلوفينز 1699م، فكانت اول معاهدة سياسية تتنازل فيها الدولة العثمانية عن جزء من أراضيها، فتنازلت عن هنغاريا للنمسا وشبه جزيرة مورة للبندقية، وبحر أزوف لروسيا وتواصلت هزائم الدولة العثمانية امام روسيا التي فرضت عليها معاهدة كوجاك كينارجي المهينة سنة 1774، ويمكن تفسير هذا الضعف إلى العوامل التالية:

- الفساد الإداري حيث انتشرت الرشوة وبيع المناصب.
- ضعف شخصية السلاطين الذين جاءوا بعد سليمان القانوني.
- الانهيار الاقتصادي للدولة العثمانية بسبب انشغالها بالحروب على الحدود
- الامتيازات الأجنبية التي منحها السلطان العثماني للدول الأجنبية. [1]
- انحراف الجيش عن مهنته الأصلية حماية الحدود وانشغاله بالسياسة وزعزعت استقرار الحكم بالتآمر على السلاطين.

ومما سبق نستنتج مايلي:

– وصول كثير من الأجانب على السلطة وذلك بتغير أسماؤهم وألقابهم حتى وصلوا إلى مراتب علية فنجد من وزراء الدولة العلية من يعمل لصالح روسيا مدعيا أنه روسي السياسة، ومن يعمل لصالح إنكلترا مدعيا أنه إنكليزي السياسة، ولكن ليس منهم من كان عثماني السياسة.

– ان الدول الأوربية تنكرت لكل عهودها واتفاقيات الصداقة والشعارات والمبادئ التي كانت تطرحها وهي المبدأ المقدس، مبدأ حماية استقلال الدولة العلية وسلامتها، ثم كانت هي بعينها تجزئ الدولة العلية باسم هذا المبدأ المقدس نفسه، أي انها كانت تمد يد الصداقة من جهة ويد الغدر من جهة اخرى.

– ان إنكلترا ترى أن بقاء السلطنة العثمانية يكون عقبة أبدية في طريقها، ومنشأ للمشاكل والعقبات في سبيل امتلاكها مصر

[1] الغالي غربي: مرجع سابق، ص ص 200–208

– أن روسيا حاربت الدولة العثمانية عن طريق المسألة الشرقية باسم الدين الأرثوذكسي، فعملت الإخراج الرومانيين واليونانيين والمربيين والبلغاريين وأهل الجبل الأسود من تحت سلطة الدولة العلية باسم الدين الأرثوذكسي؛

– ولقد عملت النمسا في عهد عدائها للدولة العلية على تهييج أمم البلقان ضد السلطنة السنية، باسم مبدأ الجنسيات؛ لأنها بصفتها دولة كاثوليكية كان لا يمكنها أن تهيج هذه الأمم الأرثوذكسية باسم الدين، فكانت نتيجة تهييج النمسا الأمم البلقان باسم الجنسيات والعرقيات.

وما يمكننا استخلاصه كنتيجة محورية وهو ان السياسة الأوربية في القضاء على أعدائها وخصومها لم تتغير على مر العصور فهي تستعمل نفس الأدوات إلى يومنا هذا:

– عن طريق التغلغل المالي والسيطرة على الموارد الاقتصادية.

– استعمال فكرة حقوق الأقليات المسيحية واليهودية.

– إثارة النعرات الطائفية والمذهبية داخل المجتمعات الإسلامية.

– نشر وترسيخ فكرة الانفصال بالنسبة للعرقيات تحت غطاء العرقية المضطهدة.

محور3: المحاضرة 4: عهد السلطان عبد الحميد

تولى الخلافة سنة 1876م في مرحلة ضعف الدولة العثمانية، خارجيا ثارت الكثير من الأقاليم العثمانية في أوربا وخاضت الدولة عدة حروب خاصة مع روسيا واتفقت الدول الغربية عل تقسيم ممتلكات الرجل المريض، وقد احاول إصلاح الدولة لكنه فشل بسبب القوى الداخلية والخارجية.[1]

شخصية السلطان عبد الحميد:

كان السلطان عبد الحميد متوسط الطول حنطي اللون، مائلا إلى النحافة، أسود الشعر، مشقوق الشفة السفلى بشق خفيف، ذا أنف معقوف كبير بعض الشيء يحمل طابع آل عثمان، وكانت عيناه أبرز شيء في وجهه وأكثر ما يلفت نظر جليسه، فقد كانتا عينين خضراوين واسعتين ونافذتين، لا يملك إزاءهما مخاطبه سوى خفض نظره، وكانت تحيط بهما أهداب كثيفة طويلة.

عندما ارتقى العرش كان حليق اللحية و لكن مع شارب، ثم التحى بلحية خفيفة. كان صوته عميقا رخيما فيه حلاوة، لا يمل مستمعه من الإنصات إليه، وكان يتحدث بأناة وهدوء وبكلمات واضحة المخارج، وقورا ذا شخصية قوية وهيبة، مسيطرا على أحاسيسه فلا تنعكس انفعالاته ومشاعره على قسمات وجهه، ينصت لمحدثه باهتمام دون أن يقاطعه أن وندرج هنا ما كتبه السفير الأمريكي (س. س. كوكس في كتابه (مذكرات دبلوماسي) واصفا السلطان عبد الحميد:

هو متوسط القامة، له سمة تركية أصلية، شعره أسود ولحيته سوداء، أما عيناه فهما معبرتان جدا ومؤثرتان، حركاته وتصرفاته رقيقة جدا، بل وحتى خجولة، جبهته الواسعة تعبر عن مقدرته الشخصية، يجيد ركوب الخيل، نسبة العائلي يستمر دون انقطاع ثلاثة قرون، و هو أكثر الحكام الموجودين في العالم عملا وجدا واهتماما واستقامة ويقظة، وأنظفهم وجدانا، يتعامل بصداقة ويعدل مع الجميع، وكل كلمة منه تدل على طيبة قلبه و على ذكائه، و هو يقوم في الصباح مبكرا جدا ويبدأ بتدقيق الأعمال الرسمية و قراءة التقارير)، ثم يستمر ... (لقد درست إصلاحات الأتراك طوال العصور الثلاثة الأخيرة واقتنعت بأن

[1] إسماعيل أحمد ياغي: مرجع سابق، ص184.

السلطان – الذي هو تركي نقي – قادر على إعطاء الدفعة الكافية للتعجيل بالتقدم بالبطيء للإصلاحات التركية، هذه الدفعة ستقدم بلده نحو النور و الحرية و المدنية.[1]

إن وجود شخص صافي النية وصريح ومتفهم، ومستعد أن يحصر كل وقته لصالح أمته، إن وجود مثل هذا الشخص على رأس الدولة العثمانية، لنعمة طيبة مباركة، فالسلطان ليس شخصا محبوبا فقط، بل هو في الوقت نفسه على دراية واسعة بأمور الدولة.

إنه يملك قلبا حساسا ومتسامحا إزاء مختلف القوميات والأديان الموجودة في مملكته، و يا ليت الدول المتكبرة الأخرى تقلده في هذا التسامح، إذن لكان عملها هذا في غاية الحكمة).

مظهره الخارجي:

كان مظهره في لباسه بسيطا غاية البساطة مع أناقة فائقة، و مع أن صدور قواده و وزرائه كانت مزدانة بالنياشين و الأوسمة فإنه لم يكن يحمل على صدره سوى وسام (آل عثمان). و كان يحتذي حذاء من الروغان (روكان) (**Rugan**) الأسود و يلبس جوارب سوداء و قميصا أبيض وسترة سوداء مع بنطلون أسود و يضع منديلا أبيض في الجيب العلوي لسترته.

يفضل اللون الأسود أو اللون اللازوردي (الأزرق الغامق)، أما في القصر و بين أهله فإنه يفضل الملابس الرمادية، و عندما يعمل في مرسمه أو يمارس هوايته في النجارة فإنه كان يلبس بنطلونا و سترة من القطيفة البنية اللون، و عند تجواله في قصره يحمل بيده عصا.[2]

ثقافته:

صور السلطان عبد الحميد من قبل أعدائه بأنه كان شخصا جاهلا، لا يستطيع القراءة والكتابة إلا بصعوبة، ولبيان الحقيقة فإنه من المفيد إلقاء نظرة على دراسته و على الأساتذة الذين قاموا بتدريسه؛ درس اللغة التركية على أستاذه عمر أفندي، والفارسية على أستاذه علي محوي أفندي، والعربية والعلوم الأخرى على يد فريد أفندي وشريف أفندي، و تاريخ الدولة العثمانية على فاكانويس لطفي أفندي و اللغة الفرنسية على أدهم باشا و كمال باشا و معلم فرنسي يدعى (كاردت). ودرس الموسيقى على أستاذين

[1] محمد علي اورخان: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط 4، إسطمبول، بيو جاملجة، 2008، ص 102.

[2] المرجع السابق، ص 103.

إيطاليين هما (كواتللي) و (لومباردي) ولعل هذا كان السبب في تذوقه الموسيقى الغربية أكثر من تذوقه الموسيقى الشرقية، وكان مولعا بقراءة التاريخ، ويقول الشعر أحيانا و قد أرسل مرة أبياتا من شعره إلى أستاذه لطفي أفندي يهنئه فيها باسترداد صحته بعد وعكة ألمت به.

برنامجه اليومي:

كان السلطان عبد الحميد ينام مبكرا في العادة، ويقوم مبكرا فيستحم ثم يصلي صلاة الفجر ويجلس بعدها لتناول فطور خفيف، ثم يتوجه إلى دائرة الحرم و منها إلى جناح السلاملك) حيث يستدعي رئيس الكتاب، ويبدأ بالنظر في أمور الدولة وتدقيق الأوراق الرسمية حتى الساعة الحادية عشرة، وعندما يحين وقت الغداء ينتقل إلى دائرة الحرم لتناول الغدا، ثم ينتقل إلى غرفة نومه حيث يتمدد للاستراحة لمدة ربع ساعة تقريبا، يعود بعدها إلى مواصلة عمله في جناح السلاملك ومقابلة رئيس الكتاب والكاتب الثاني والوزراء، ويستمر في العمل حتى العشاء وعندما كان يتعب، أو يجد فرصة سانحة، يتوجه إلى دائرة الحرم حيث يلتقي بإحدى زوجاته أو يستدعي أبناءه و بناته، و قد يستمع إلى عزف أحدهم على البيانو.[1]

و بعد تناول العشاء يخرج إلى حديقة القصر ويتنزه في أرجائها مع بعض الباشوات ورجالات القصر، و قد يتوجه إلى ورشة النجارة أو إلى المكتبة. وعندما تكثر أعماله يبقى حتى منتصف الليل لإنجازها. أما في الأوقات الاعتيادية فإنه يتوجه إلى غرفة نومه بعد أداء صلاة العشاء، و هنا يخيم السكون على جميع أرجاء القصر، وقبيل نومه يستدعي من يقرأ له بعض المواضيع الخفيفة من خلف حاجز خشبي موضوع قرب سريره وعندما يحس القارئ بأن السلطان على وشك النوم يتسلل من مكانه بهدوء ويخرج من الغرفة.

خلقه وطباعه.

يقول المؤرخ التركي المعروف إسماعيل حامي دانشماند: (كان السلطان عبد الحميد مثال العفة والاحترام والوقارو يقول عنه رشيد بك في مذكراته: (كان عفيفا بكل معنى الكلمة، إذ لم يكن يمد عينه إلى عرض أحد أو ماله). (كان حليما صبورا، رحيما).

وتقول عنه ابنته عائشة: (كان والدي يؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها ويقرأ القرآن الكريم، و في شبابه سلك مسلك الشاذلية، وكان كثير الارتياد للجوامع لا سيما في أثناء شهر رمضان، إذ كان يذهب

[1] المرجع السابق، ص 104.

إلى جامع السليمانية، و في أحد الأيام عندما كان يؤدي الصلاة في هذا الجامع التقى شيخا فاضلا يدعى (حمزة رافر) وتصادق معه، وانتسب عن طريقه إلى الشاذلية ثم انتسب إلى الطريقة القادرية بوساطة عبد الله أفندي الشيخ الأكبر لتكية يحيي أفندي).[1]

كان السلطان عبد الحميد يكن حبا كبيرا للرسول صلى الله عليه وسلم وتوقيرا كبيرا له، فعندما اقترب الخط الحديدي للحجاز من المدينة المنورة أمر القائمين على تنفيذ مد الخط وضع طبقات عديدة وكافية من اللباد تحت الخط الحديدي لكي لا يحدث اقتراب القطار من المدينة ودخوله فيها أي ضجة أو ضوضاء احتراما وتوقيرا لساكن المدينة العظيم صلى الله عليه و سلم السلطان عبد الحميد الثاني في مواجهة المؤامرة الأوربية لإسقاط الخلافة العثمانية.[2]

* المؤامرة الأوربية: تهدف إلى تمزيق العالم الإسلامي إلى دويلات طائفية وعرقية والسيطرة على أرضها وثرواتها بعد رد أهلها كفارا حسدا من عند أنفسهم.

* الوسائل الأوربية: إشعال الفتن الطائفية بين المسلمين والنصارى؛ وبين أبناء الأمة وأولياء الأمر، ثم التدخل بحجة حماية الأقليات النصرانية؛ أو بحجة حماية الديمقراطية وحقوق الإنسان وسيادة القانون.

* أوربا تعتمد في تحقيق الهدف على الغزو العسكري والغزو الفكري والهيمنة الاقتصادية.

* اختطاف فتاة بلغارية نصرانية في سلانيك وهي في الطريق لإشهار إسلامها بصفة رسمية.

* تمرد الأقليات النصرانية في بلغارستان وصربيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك وخروجهم على الدولة العثمانية.

* مذكرة لندن إلى الدولة العثمانية كانت بمثابة تمهيدا للهجوم الروسي على الدولة.[3]

العثمانية بحجة حماية الأقليات النصرانية في صربيا والجبل الأسود.

* معاهدة سان اسطفانوس تكرس تمزيق الدولة العثمانية إلى كيانات طائفية.

* بريطانيا تحتل جزيرة قبرص ومصر وفلسطين.

---

[1] نفسه، ص 105.

[2] المرجع السابق، السلطان عبد الحميد ...، ص ص 106-112.

[3] كامل مصطفى: المسألة الشرقية، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 9.

* فرنسا تحتل الجزائر وتونس وسورية ولبنان فيما بعد.

نستنتج مما سبق :

– ان اوربا كان لديها مشروع تقسيم الدولة العثمانية اولا والوطن العربي ثانيا.

– أن يهود الدونمة كان لهم دور بارز في محاربة الدولة العثمانية والتواطؤ مع الأوربيين ضدها بالعمل الاستخباراتي ان السلطان عبد الحميد قدم إصلاحات مهمة من اجل الحفاظ على إستقرار الدولة العثمانية ومجابهة التحاف الأوربي ، ومن اهم إصلاحاته الخط الهمايوني 10سبتمبر 1879م

– اصدر السلطان عبد الحميد قانونا أساسي للدولة يشتمل على مائة وتسع عشرة مادة 1879م يضمن لجميع رعايا الدولة الحرية والمساواة أمام القانون، وأتاح حرية التعليم مع جعله إجبارها على جميع العثمانيين.

– ان الوزير مدحت باشا عارض الإصلاحات وتآمر على عزل السلطان عبد الحميد، ويقال إنه كان يسعى في إسقاط نظام الخلافة الإسلامية وتطبيق النظام الأوربي اللادينى ولهذا عزله السلطان عبد الحميد الثاني في 5 فبراير 1877م.

– أن الروس شكلوا عدة جمعيات (سرية)، وقد بذلت هذه الجمعيات مساعيها (بمساعدة الحكومة الروسية) لإثارة الاضطرابات في البوسنة والهرسك فنجحت، وكان لهذه الجمعيات عدة فروع في بلاد البلغار لتوزيع المال والسلاح سرا على النصارى من سكانها، وتحريضهم على عصيان الدولة العثمانية وطلب الاستقلال، وكان لها أيضا مركز مهم في مدينة فيينا «عاصمة النمسا ترسل منه الأسلحة وغيرها عن طريق رومانيا إلى المتمردين، مما يثبت أن للنمسا ضلعا في هذه الحركة العصيانية، وبهذه المساعي الخبيثة الشيطانية كفر البلغاريون بنعمة دولة الإسلام.

– التدخل الأوربي الأجنبي في شئون الدولة العثمانية بحجة حماية الأقليات النصرانية ، حينما حدثت حادثة بمدينة سلانيك في بلاد اليونان نسبها الأوربيون إلى تعصب الإسلام الديني مع أن منشأها المسيحيون ضد المسلمين. حادثة سالونيك والتدخل الأوربي في شئون الدولة العثمانية:

– الاضطرابات الطائفية التي وقعت في بلاد الهرسك وفي الصرب والجبل الأسود وربما النمسا أيضا التي كانت تطمع في الاستيلاء على ولايتي البوسنة والهرسك في أوائل (1870)، والتي كانت تهدف إلى الانفصال عن دولة الخلافة.

الخاتمة

خاتمة :

إن دراستنا لمقياس الدولة العثمانية والمشرق العربي خلال القرنين الخامس عشر والقرن العشرين، يصل بنا على مجموعة من الاستنتاجات والمقاربات التاريخية المهمة وهي:

- فهم الدولة العثمانية المترامية الأطراف كوحدة سياسية من الشرق على الغرب
- فهم عقيدة الجيش العثماني الانكشاري الذي كانت بدايته ومهمة حماية امن الدولة وحدودها ثم تغيرت افكاره إلى عقيدة مادية همها الوصول على السلطة مما اثر على استقرار الدولة ففي الكثير من الحالات تدخل الجيش وازاح او قتل سلطان عثماني وعين آخر، هذا التدخل الغير مرغوب كان من اسباب ضعف الدولة انهيارها.
- إن توسع الدولة العثمانية باتجاه الغرب املته الظروف الدولية ،فالعثمانيين كانوا في حالة دفاع وفي مرحلة بناء وتجميع القبائل التركية والقبائل المضطهدة تحت راية العثمانيين
- إ ن التوسع العثماني في المشرق والمغرب العربي أملته ظروف قاهرة وهي الفراغ والفوضى السياسية في البلاد العربية خاصة مع سقوط الخلافة العباسية وتنامي القوة الأوربية والتحرشات البيزنطية في الشرق، والتحرشات الإسبانية والبرتغالية في حوض المتوسط ضد دويلات المغرب العربي.
- إن الحياة الاجتماعية والثقافية في الدولة العثمانية كانت متميزة في بدايتها فتنوع الملل والأعراق تحت عدالة العثمانية تغير فيما بعد ضعف الدولة ،ليصبح هذا التنوع نقمة خاصة مع ظهور الفكر القومي في أوربا، حيث اصبحت الأقليات المذهبية والعرقية تطالب بالمساوات في المناصب السيادية والجيش
- إن التطور العلمي والثقافي الحاصل في أوربا يقابله ركود وتخلف في الدولة العثمانية التي كانت تخوض حروبا على الحدود ثم حروب داخلية من اجل إخماد وقمع الثورات والتمردات.
- إن بروز المسالة الشرقية او كما يسميها الأوربيين الرجل المريض كان حدثا مهما أحدث فوضى سياسية داخل السلطنة التي باشرت الكثير من الإصلاحات السياسية والاقتصادية ،لكنها باءت بالفشل لآنها لم تستطع مجابهة المؤامرات الداخلية خاصة امام تغلغل وتنامي نفوذ يهود الدومة بالإضافة إلى تدخل القناصل الأوربية في سياسة الدولة وتعيين الصدر الأعظم والدفاع عن حقوق المسيحين.
- وصول السلطان عبد الحميد الثاني إلى السلطة في ظروف صعبة جدا، إذ لم يستطع تحقيق الأهداف التي سطرها وليس ضعفا منه ولكن الظروف كانت اقوى منه إذا اصطدم بمؤامرات كبرى مست جميع

الأصدة السياسية والاقتصادية وتطورت فيما بعد الى المجال الثقافي ومحاربة مقومات الدولة من دين ولغة.

- إن الفائدة من دراسة مقياس الدولة العثمانية والمشرق العربي هو التعرف عن الواقع الدولي والإقليمي أنذاك وكيف تأثر العالم العربي وتأثر بهذه المتغيرات .

المصادر والمراجع

المراجـــــع

1- أحمد توفيق المدني: الداي محمد بن عثمان باش داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، الجزائر،1986.

2- أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة الحديثة، لبنان.

3- أحمد ياغي إسماعيل: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، السعودية.

4- ازتونا يلماز: ترجمة: عدنان محمود سلمان، موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري (1230_1922)، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط1.

5- إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، السعودية.

6- أندري رايمون: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، دار الفكر للدراسات، ط1، القاهرة،1991.

7- اورخان محمد علي: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط 4، إسطمبول، بيو جاملجة، 2008.

8- بوحوش عمار: تاريخ الجزائر السياسي من البداية إلى غاية 1962، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

9- بوعزيز يحي: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطى، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

10- ثريا فاروقي: الدولة العثمانية والعالم المحيط بها، ترجمة حاتم الطحاوي، المدار الإسلامي، بيروت، 2008.

11- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

12- حلاق حسان: تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، بيروت.

13- دونالد كواترت: الدولة العثمانية 1700-1922م، تعريب، ايمن الأرمنازي، مكتبة العبيكان ط1، العربية السعودية 2004.

14- سبنسر وليام: الجزائر في عهد رياس البحر، ترجمة عبد القادر زبادية، ش، و، ن، ت، الجزائر،1980.

15- سليمان بن صالح الخرشي، كيف سقطت الدولة العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار القاسم، المملكة السعودية، 1420.

16- شالر وليام: مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816-1824م)، تق وتح: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

17- الشناوي عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ،مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، القاهرة ،1980،ج1.

18- الشناوي عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط1،القاهرة ،1980،ج1،ص9

19- شويتام آرزقي: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830م، الجزائر.

20- صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقين إلى خروج الفرنسين، دار العلوم، ط1، 2003.

21- الضيقة حسين: الدولة العثمانية، الثقافة، المجتمع والسلطة، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1.

22- عباد صالح: الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830م)،ط2، دار هومة، الجزائر ،2007.

23- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

24- عزيز سامح: الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، ترجمة محمود عامر، ط1، دار النهضة العربية، 1989.

25- العسلي بسام: خير الدين بربروسة، دار النفائس، ط3، الجزائر، 1986.

26- علي داهش محمد: العلاقات المغربية العثمانية في العصر الحديث (1650 - 1830)، قسم التاريخ، جامعة الموصل.

27- عمار بن خروف: العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين الجزائر والمغرب في القرن السادس 16م، دار الأمل للطباعة والنشر

28- الغالي الغربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2011.

29- فركوس صالح: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسين، دار العلوم، ط1، 2003.

30- محمد بوسلامة: المشرق العربي تحت الحكم العثماني، مجلة الخلدونية، عدد 9، 2016.

31- محمد عبد الله عودة: إبراهيم ياسين الخطيب ،تاريخ الغرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1989.

32- محمد عمر مروان: المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، ليبيا، المجلد الثاني، العدد الثامن، يونيو 2017م.

33- مصطفى كامل: المسألة الشرقية، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014.

34- يحي بوعزيز: الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسطى، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،1992.

35- المقال :

36- نجدت أوزتورك: ترجمة: مصطفى الستيتي، مجلة بحوث العالم التركي (Türk Dünyası Aratırmaları Dergisi)، العدد 52، فبراير 1988.